السياق وأثره في النظم القرآني (مشتقات الهبة)

مادة (وهب) نموذجًا"

إعداد

د. هبة إسماعيل حسن إبراهيم

مدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، جامعة الأزهر

السياق وأثره في النظم القرآني (مشتقات الهبة) مادة (وهب) نموذجًا"

هبة إسماعيل حسن إبراهيم
قسم البلاغة والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الالكتروني: Hebaismail.67@azhar.edu.eg

الملخص :
يبرز هذا البحث مفردة (وهب) وما تحمله من دلالات في سياقها.
تحت عنوان "السياق وأثره في النظم القرآني "مشتقات الهبة" مادة (وهب) نموذجًا". وقد سرت في هذا البحث على التأمل في هذه المادة من خلال مقامات ورودها التي تنوعت بين الاسم والفعل. وقد جاء البحث في مقدمة، بينت فيها أهمية الموضوع، وسبب الاختيار، والمنهج المتبع، والمصادر التي أفدت منها. أما التمهيد فقد تعرضت فيه لمادة وهب و جذرها اللغوي، وبينت مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح مبرزة جهود العلماء في هذا المجال.
أما المباحث فكانت أربعة:
المبحث الأول والثاني خصصتهما للحديث عن السياق وأثره في اختيار الصيغة التي تنوعت بين الاسم والفعل، مقدمة نماذج تطبيقية مبرزة سر اختيار الصيغة. وفي المبحث الثالث أوضحت أثر السياق بين متشابه النظم في مادة (وهب). أما المبحث الرابع فقد بينت أثر السياق في اصطفاء لفظ (وهب) مع ما قاربه من ألفاظ مثل (أعطى) (أنعم). وفي الخاتمة قدمت ملخصًا للبحث مبرزة بعض النتائج.

الكلمات المفتاحية: "السياق، النظم القرآني، مشتقات الهبة، متشابه النظم، مادة (وهب).

The context and its impact on the Qur'anic systems (the derivatives of the gift) article (the endowment) as a model

Heba Ismail Hassan Ibrahim
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Zagazig, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Hebaismail.67@azhar.edu.eg

Abstract:
This research highlights the term (wahab) and the connotations it carries in its context.
Under the title "Context and its impact on the Qur'anic systems (Wahb) as a model" In this research, I proceeded to reflect on this article through the places of its occurrence, which varied between the noun and the verb.
The research came in an introduction, in which I showed the importance of the topic, the reason for choosing, and the method followed, and the sources that I benefited from.
As for the preamble, I dealt with the material of endowment and its linguistic root, and explained the concept of context in Language and terminology highlight the efforts of scholars in this field. As for the detectives, they were four:
The first and second sections were devoted to talking about the impact of the context in choosing the formula that varied between the noun and the verb, presenting applied models highlighting the secret of choosing the formula.
In the third topic, I explained the effect of the context between similar systems in the article (Wahb).
As for the fourth topic, I showed the impact of the context in selecting the word (wahb) with its approximation Words like (gave) (the softest).
In the conclusion, I presented a summary of the research, highlighting some of the results.

Keywords: "the context, the Qur'anic systems, the derivatives of the gift, similar systems, material (wahb).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وبعد:

إن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، التي مهما نهل الدارسون والباحثون من موردها لم يظفروا إلا بالنزر اليسير من المقاصد الربانية، التي أودعها الله عز وجل في كتابه العزيز – إن محاولة الاقتراب من القرآن الكريم بقصد تفسيره، أو شرحه، أو بيان بلاغته وأسرار إعجازه، ليس بالأمر السهل والميسور، لأن الباحث المسلم يخشى الوقوع في الخطأ أو الزلل أو الانحراف، أو البعد عن المقصد الرباني، أثناء تعامله مع الآيات القرآنية، وهذا مما قد يسبب الحرج للباحث أثناء بحثه في القرآن الكريم، وإن كان مما قد يعلل المسلم نفسه به أنه إذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد وإن اجتهد وأصاب فله أجران.

وكتاب الله يختار اللفظة الملائمة للسياق المناسبة للمقال والحال، وتكون دقيقة في وضعها، وفي معناها، وفي تناسقها مع أخواتها في الجملة.

ولقد لفت نظري مادة (وهب) في القرآن وتنوع مشتقاتها فعزمت على القيام بدراستها؛ لأقف على أسرارها البلاغية فأحصيتها فوجدتها تصل إلى خمسة وعشرين موضعًا وردت فيه هذه المادة، فوجدتها ثرية بمدلولاتها، وقد تنوعت مشتقات هذه المادة بين الفعل بصيغه المتنوعة، والاسم؛ مما يدعو للتأمل في كشف التناسب بين اللفظة وسياقها الذي وردت فيه والسر في اختيار اللفظ من اسم أو فعل.

وبعد البحث والتحري لم أجد دراسة فيما أعلم تطرقت لهذه المادة وبينت أثرها في السياق.

لهذا وغيره عزمت على القيام بدراستها لأقف على أسرارها البلاغية وسر هذا التنوع في مشتقاتها والغرض الذي سيق من أجله وهذا ما كان بحمد الله، وأسميته ((السياق وأثره في النظم القرآني" مادة (وهب) نموذجًا ")).

وقد جاءت الدراسة بمقدمة وتمهيد وأربعة مباحث على النحو الآتي:

المقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وسبب الاختيار والمنهج المتبع.

وفي التمهيد بينت مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح وآراء العلماء فيه، وتتبعت الجذور اللغوية لمادة (وهب) واستعمالاتها.

أما المباحث فجاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: السياق وأثره في اختيار صيغة الفعل.

المبحث الثاني: السياق وأثره في اختيار صيغة الاسم.

المبحث الثالث: خصصته لمتشابه النظم بينت فيه معنى المتشابه اللفظي وسر التكرار في الألفاظ بين موضع وآخر مقدمة بعض النماذج التطبيقية.

المبحث الرابع: تناولت فيه مادة (وهب) وما قاربها من ألفاظ وبينت الفروق الدقيقة بين هذه الألفاظ مقدمة بعض النماذج التطبيقية.

أما الخاتمة فقد أجملت فيها ملخصاً للبحث، وبعض النتائج التي توصلت إليها والمقترحات، وأتبعت ذلك بالفهارس.

وقد اعتمدت في بحثي على المصادر المتنوعة من كتب التفسير المتنوعة وخاصة ما يهتم بالجانب البلاغي، كالكشاف، وإرشاد العقل السليم، وروح المعاني، والتحرير والتنوير، وغيرها من الكتب المتنوعة التي تهتم بالجوانب البيانية والبلاغية.

وقد اتبعت في بحثي هذا المنهج التحليلي الإحصائي، الذي يكشف عن علاقة اللفظة بسياقها.

وبعـــد:

فقد بذلت جهدا في بحثي هذا فإن وفقت فهذا ما سعيت لتحقيقه، وإن كان غير ذلك فاستغفر الله عما زل به القلم من اجتهاد أو تحميل الآية ما لا تحتمل، ويبقى هذا الكتاب أساس رسالة التوحيد، والنور المبين، ومصدر الحكمة والهداية، والأسرار التي لا تنقضي وكل يأخذ منه بقدر ما يوفقه الله إليه.

التمهيد:

مفهوم السياق:

السياق أصل هام من أصول التفسير التي لابد للمفسر من مراعاته؛ لما له من أثر في فهم مراد الله تعالى، وبيان المعنى الصحيح للآية من خلال العوامل المحيطة بها، وتعود أهمية السياق؛ لكونه يحدد معنى الكلمة في الآية من خلال سياقها.

وهذا يدعونا للتعرف على معنى هذه اللفظة (السياق)؛ لأن تحقيق الألفاظ معين لمن يريد إدراك معاني القرآن يقول الراغب: "وذكرتً أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أوائل المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافعٌ في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"[(١)].

وهذا يقودنا للتعرف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه الكلمة.

المعنى اللغوي:

جاء في لسان العرب: السوق معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسواق شدد للمبالغة وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة[(٢)].

وجاء في معجم مقاييس اللغة (سوق) "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشيء. يقال ساقه يسوقه سَوقاً، والسيقة: ما استيق من الدوابّ. ويقال سقتُ إلى امرأتي صَدَاقها، وأَسَقْتُهُ.

والسوق مشتقّةٌ من هذا، لما يساق إليها منٍ كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سُوق، إنّما سمّيت بذلكً لأن

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٨.

(٢) انظر لسان العرب، ١٠/١٦٦.

الماشي ينْساق عليها. ويقال امرأة سَوْقاء، ورجلٌ أَسوَق، إذا كان عظيمَ السّاق. والمصدرُ السوَق"(١).

وفي أساس البلاغة ومن المجاز: ساق الله إليه خيرًا وساق إليها المهر.

وساقت الريح السحاب.

وتساوقت الإبل: تتابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، "وإليك يساق الحديث" وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده(٢).

وفي المعجم الوسيط: "ساق الحديث، سرده وسلسله، وساوقه: تابعه وسايره وجاراه.

وتساوقت الماشية ونحوها: تتابعت وتزاحمت في السير. وتساوق الشيئان: تسايرًا أو تقارنا. ويقال بني القوم بيوتهم على ساق واحدة على صف واحد، وسياق الكلام: تتابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه"(٣).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن المعنى المأخوذ من المعاني المتقدمة لكلمة السياق يدور حول عددٍ من المعاني منها: التتابع واللحوق، والانقياد، والتسلسل.

ودلالة السياق هي واحدة من أهم الدلالات في فهم النص القرآني.

وهنا سؤال هل هناك تعريف محدد للسياق اصطلح عليه المختصون؟

والحقيقة أن بعض المصطلحات يكون من الصعوبة بمكان التحديد الدقيق لمعناها ومن ذلك السياق ومع هذا حاول بعض المعاصرين أن يحدد مفهومه.

وأعرض هنا تعريفين ذكرهما بعض الباحثين:

قال صاحب كتاب دلالة السياق: "وهنا يمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث الآتية: الأولى: أن السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم في إيراد الكلام، الثانية: أن السياق

(١) معجم مقاييس اللغة، ١١٧/٣.

(٢) انظر أساس البلاغة، ٢٣٢/١.

(٣) المعجم الوسيط، ٤٦٤/١.

هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، الثالثة: أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر والتحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام"(١).

يقول صاحب رسالة السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية: "التعريف المختار للسياق القرآني، هو ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال من حال المخِاطِب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"(٢).

ولقد اعتنى علماء الإسلام بالسياق ودلالاته على تفاوت فيما بينهم ولسنا في مجال تتبع الأقوال في ذلك فقد اهتم به المفسرون، والأصوليون، والبلاغيون، والمقام لا يتسع لذكر أقوالهم ولكن نذكر شيئا منها.

ففي كتاب الرسالة للإمام الشافعي يقول رحمه الله تعالى في قوله تعالى ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ الأعراف: ١٦٣

فابتدأ – جل ثناؤه – ذكرَ الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: {إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ} الآية، دلت على أنه إنما أراد أهلَ القرية؛ لأن القرية لا تكون عادِيةً، ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بَلاَهم بما كانوا يفسقون)(٣).

فالمفهوم من السياق أن أهل القرية هم الذين يعدون ويفسقون وليست القرية.

والمفسر ابن جرير الطبري رحمه الله يرى أن صرف الكلام عن سياقه غير جائز يقول "غير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، تقوم به حجة، فأما الدعاوى فلا تتعذر على

(١) دلالة السياق، ٥١.

(٢) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية، ص٢٢.

(٣) الرسالة، ص٦٢.

أحد"[١]، ومعنى هذا أنه لابد من النظر عند تفسير الآية بجميع ما يرتبط بها من عوامل، كأسباب النزول، أو الأحاديث الواردة، ومراعاة نظم الكلام الذي سيق له، ولذلك قال الزركشي: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز"[٢].

أما ابن دقيق العيد: فيقول: "أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات"[٣].

وقال شيخ الإسلام: "ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه، وما يبين معناه من القرائن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع، في باب فهم الكتاب والسنة"[٤] .

وقد نبه ابن القيم[٥] إلى أن السياق يبين المجمل ويقيد المطلق فقال: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[٦].

والشاطبي يرى أنه لابد من رد آخر الكلام على أوله حتى يفهم مقصود الشارع: "فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده، ولا يصح الاقتصار في النظر

(١) الطبري، ٣٨٩/٩.

(٢) البرهان، ٣١٧/١.

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ص٢٧٧–٢٧٨.

(٤) مجموع الفتاوى، ١٨/٦.

(٥) بدائع الفوائد، ج ٤، ص ٩–١٠.

(٦) الدخان ٤٩.

على بعض أجزاء الكلام دون بعض"[١]، وهذا يعني أن السياق له دور مهم في فهم الآية.

ويقول "إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مراده على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المخاطب أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطَبين وبحسب غير ذلك كالاستفهام لفظه واحد ويدخله معان أخرى من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها"[٢].

وهذا يعني أن مراعاة الحال يساعد في معرفة معنى الآية.

أما البلاغيون فلهم سهم في هذا فقد وصف عبد القاهر الجرجاني الاهتمام بالسياق بأنه علم شريف وأصل عظيم، فهو يقول: "اعلم أن هاهنا أصلا أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف جانبا وينكر آخر وهو أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها وهذا علم شريف وأصل عظيم"[٣].

ويحسن في ختام هذا المبحث أن أبين أنواع السياق:

١- أنواع السياق من حيث حدود الدلالة: سياق جزئي وسياق كلي.

٢- أنواع السياق من حيث العلاقات التركيبية: سياق سابق، وسياق لاحق.

٣- أنواع السياق من حيث العلاقة بين النص ومحيطه الخارجي: سياق المقال، وسياق الحال[٤].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن السياق له أهمية كبيرة في النص، وأن المفسر لكلام الله لابد أن ينظر في السياق من جميع جوانبه، ولا يكتفي بالألفاظ وحدها فهو يبين المجمل ويعين المحتمل ويخصص العام ويقيد المطلق، ولابد من رد آخر الكلام على أوله، فإن فرق في أجزائه فلا

(١) الموافقات، ٨٥٥/٣.

(٢) الموافقات، ٣٤٧/٣.

(٣) دلائل الإعجاز ١٥٦.

(٤) انظر الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية، ص٥٦.

يتوصل إلى المراد، فاللفظة لها معناها المعجمي واللغوي، ولها معنى آخر من خلال سياقها، ولا يمكن أن نميز معناها إلا من خلال السياق؛ لأن معنى الكلمة يختلف من سياق إلى آخر والخلاصة أن الكلمة لا تفهم إلا من خلال سياقها.

****

مادة (وهب) وجذرها اللغوي واستعمالاتها:

في السطور الآتية نتتبع مادة (وهب) وجذرها اللغوي واستعمالاتها من خلال استعراض عدد من المعاجم اللغوية.

جاء في مقاييس اللغة(وَهَبَ) الواو والهاء والباء: كلمات لا ينقاس بعضها على بعض. تقول: وهبت الشيء أهبه هبة وموهبا. واتهبت الهبة: قبلتها. والموهبة: قلت يستنقع فيه الماء ؛ والجمع مواهب. ويقال أوهب إلي من المال كذا، أي ارتفع. وأصبح فلان موهبا لكذا، أي معدا له [(١)].

ويقال وهبت له شيئًا وَهْبًا، ووَهَبًا بالتحريك، وهِبَةً، والاسم المَوْهِبُ والموهبة، بكسر الهاء فيهما. والاتهاب: قبول الهبة. والاستيهاب: سؤال الهبة. وتواهب القوم، إذا وهبَ بعضُهم لبعض.

وتقول: هَبْ زيداً منطلقاً، بمعنى أحسبْ، يتعدَّى إلى مفعولين، ولا يستعمل منه ماضٍ ولا مستقبلٌ في هذا المعنى. والمَوْهِبَةُ: بالفتح: نُقرة في الجبل يَسْتَنْقِعُ فيها الماء، والجمع مواهب[(٢)].

وجاء في لسان العرب: وَهَبَ: فِي أَسماءِ اللَّهِ تَعَالَى: الوَهَّابُ. الهِبةُ: العَطِيَّة الخاليةُ عَنِ الأَعْواضِ والأَغْراضِ، فإِذا كَثُرَتْ سُمِّي صاحِبُها وَهَّاباً، وَهُوَ مِنْ أَبنية المُبالغة. غَيْرُهُ: الوَهَّابُ، مِنْ صفاتِ اللَّهِ، المُنعِمُ عَلَى الْعِبَادِ، واللهُ تَعَالَى الوهَّابُ الواهِبُ. وكلُّ مَا وُهِبَ لَكَ، مِنْ ولَد وَغَيْرِهِ: فَهُوَ مَوهُوبٌ. والوَهُوبُ: الرجلُ الكثيرُ الهِباتِ. ابْنُ سِيدَهْ: وَهَبَ لَكَ الشيءَ يَهَبُه وَهْباً، ووَهَباً، بِالتَّحْرِيكِ، وهِبَةً؛ وَالِاسْمُ المَوهِبُ، والمَوهِبةُ، بِكَسْرِ الهاءِ فِيهِمَا. وَلَا يُقَالُ: وَهَبَكَه، هَذَا قَوْلُ سِيبَوَيْهِ. وَحَكَى السِّيرَافِيُّ عَنْ أَبي عَمْرٍو: أَنه سَمِعَ أَعرابياً يَقُولُ لِآخَرَ: انْطَلِقْ مَعِي، أَهَبْكَ نَبْلًا. ووَهَبْتُ لَهُ هِبةً، ومَوهِبَةً،

(١) مقاييس اللغة، ١٤٧/١.

(٢)الصحاح، ص٣٧٧.

ووَهْباً، ووَهَباً إِذا أَعْطَيْتَهُ. ووهَبَ اللهُ لَهُ الشيءَ، فَهُوَ يَهَبُ هِبةً؛ وتَواهَبَ الناسُ بَيْنَهُمْ؛ وَفِي حَدِيثِ الأَحْنَفِ: وَلَا التَّواهُبُ فِيمَا بينَهم ضَعَةٌ؛ يَعْنِي أَنهم لَا يَهَبُونَ مُكْرَهِينَ. ورجلٌ واهِبٌ ووَهَّابٌ ووَهُوبٌ ووَهَّابةٌ أَي كثيرُ الهِبة لأَمْواله، وَالْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ. والمَوهُوبُ: الولدُ، صِفَةٌ غَالِبَةٌ. وتَواهَبَ الناسُ: وَهَبَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ. والاسْتِيهابُ: سُؤَالُ الهِبَةِ. واتَّهَبَ: قَبِلَ الهِبَةَ. واتَّهَبْتُ منكَ دِرْهَماً، افْتَعَلْتُ، مِنَ الهِبَةِ. والاتِّهابُ: قَبُولُ الهِبة[1].

ويتبين من خلال استعراض المعاني اللغوية السابقة لمعنى (وهب) من خلال تلك المعاجم أن الهِبَةَ: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض.

يقال: "وَهَبْتُهُ هِبَةً ومَوْهِبَةً ومَوْهِبًا. قال تعالى: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحاقَ**﴾ **[الأنعام: ٨٤]**، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ**﴾ **[إبراهيم: ٣٩]** ﴿**إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا**﴾ **[مريم: ١٩]**، فنَسَبَ المَلَكُ إلى نفسه الهِبَةَ لمّا كان سببا في إيصاله إليها، وقد قرئ: لِيَهَبَ لَكِ(١) فنسب إلى الله تعالى، فهذا على الحقيقة، والأوّل على التّوسّع. وقال تعالى: ﴿**فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً**﴾ **[الشعراء: ٢١]**، وَوَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ [ص: ٣٠]، ﴿**وَوَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ**﴾ **[ص: ٤٣]**، ﴿**وَوَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا**﴾ **[مريم: ٥٣]**، ﴿**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي**﴾ **[مريم: ٥]**، ﴿**رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**﴾ **[الفرقان: ٧٤]**، ﴿**هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً**﴾ **[آل عمران: ٨]**، ﴿**هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**﴾ **[ص: ٣٥]**، ويوصف الله تعالى بِالْوَاهِبِ والوَهَّابِ بمعنى: أنه يعطي كلًّا على استحقاقه، وقوله: ﴿**إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها**﴾ **[الأحزاب: ٥٠]**. والِاتِّهَابُ: قبولُ الهبةِ، وفي الحديث: «لقد هممت أن لا أَتَّهِبَ إلّا من قرشيّ أو أنصاريّ أو ثقفيّ"[2].

(١) يُنظر لسان العرب، ٢٨٩/١٥.

(٢) يُنظر معجم مفردات القرآن الكريم، ص٨٨٤.

المبحث الأول
السياق وأثره في اختيار صيغة الفعل

توطئة:

اختيار الصيغة:

إذا تأملت لفظة القرآن وجدت الدقة في وضعها واختيارها ومناسبتها لمكانها في الجملة ولا يمكن لكلمة أخرى تحل محلها وتؤدي المعنى الذي سيقت له.

يقول ابن عطية: "وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة وميز الكلام"(١)، والرافعي يؤكد على أن لفظة القرآن قارة في موضعها لأنها.....:،" الأليق في النظم، ثم لأنها مع ذلك الأوسع في المعنى، ومع ذلك الأقوى في الدلالة، ومع ذلك الإحكام في الإبانة، ومع ذلك الإبدع في وجوه البلاغة، ومع ذلك الأكثر مناسبة في مفردات الآية، مما يتقدمه أو يترادف عليه"(٢) فلفظة القرآن دقيقة في اختيارها، وموضعها، ومناسبتها للآية وسياقها، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي أعجز العرب أهل الفصاحة والبيان، ولا غرابة فهو كتاب الله فقد نزل بمثل ما نبغ به أولئك، لكن لفظة القرآن لها ميزة تنفرد بها من خلال سياقها الذي وردت فيه وتختلف الصيغ باختلاف المقامات والأحوال، والسياق الذي وردت فيه اللفظة هو الذي يحددها؛ لذلك تتنوع الصيغ من اسم إلى فعل، وتختلف الدلالة فدلالة الاسم غير دلالة الفعل، ولكل غرضه، ويؤثر التعبير فيه دون الآخر حسب الحال.

يقول ابن الأثير معلقا مبينا الفرق في التعبير بين الجملة الاسمية والفعلية، فمما جاء من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ البقرة: ١٤.

(١) المحرر الوجيز، ١/٤٥.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ١٩٧-١٩٨.

فإنهم إنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية، وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بأن المشددة؛ لأنهم في مخاطبة إخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر، والبعد من أن ينزلوا عنه على صدق ورغبة وفور نشاطٍ، فكان ذلك متقبلا منهم، ورائجاً عند إخوانهم، وأما الذي خاطبوا به المؤمنينِ فإنما قالوا تكلفاً وإظهارا للإيمان خوفاً ومداجاةِ، وكانوا يعلمون أنهم لو قالوه بأوكد لفظ وأسده لما راج لهم عند المؤمنين إلا رواجاً ظاهراً لا باطناً، ولأنهم ليس لهم في عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم من العبارة المؤكدة، فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين (آمنا) وفي خطاب إخوانهم (إنا معكم)[١].

وبعد أن يبين أسرار الفرق في التعبير بين الجملتين يقول "وهذه نكت تخفى على من ليس له قدم راسخة في علم الفصاحة والبلاغة"[٢].

وصنعة البيان كمثل صنعة البنيان، فالمهندسون البناءون لا يخلقون مادة بناء لم تكن في الأرض ولا يخرجون في صنعتهم عن قواعدها العامة، ولذلك يقول محمد دراز"فالجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد وأمسها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين"[٣]، وسبحان الله تنزيل من حكيم حميد وفي السطور الآتية بيان لأسرار التعبير بالاسم والتعبير بالفعل كل في موقعه.

التعبير بالجملة الفعلية:

الفعل يدل على حدث معين مرتبط بزمن[٤]. والحدث متغير حسب وقوعه فقد يرتبط بزمن قد مضى فهذا هو الفعل الماضي "ماض، وهو: كلمة تدل على مجموع أمرين؛ معنى، وزمن فات قبل النطق بها"[١].

---

(١) المثل السائر، ٢/١٥.

(٢) السابق، ٢/٥١.

(٣) النبأ العظيم ٩٢.

(٤) بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو، ٢٩.

وقد يرتبط بزمن حاضر ومتجدد فهذا هو الفعل المضارع الذي يدل على حدث يقع ويستمر وقوعه "ومضارع: وهو: "كلمة تدل على أمرين معًا: معنى، وزمن صالح للحال والاستقبال"(٢). وأمر مطلوب تحقيقه في المستقبل "وأمر، وهو: كلمة تدل بنفسها على أمرين مجتمعين: معنى، وهذا المعنى مطلوب تحقيقه في زمن مستقبل:"(٣)، وتختلف دلالة كل فعل بحسبه. يقول عبدالقاهر الجرجاني مبينا سر التعبير بالفعل.

"وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئًا بعد شيء... فإذا قلت: زيد ها هو ذا ينطلق. فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءًا فجزءًا، وجعلته يزاوله ويزجيه"(٤).

وقد وردت مادة (وهب) بصيغة الفعل بتصريفاته المتنوعة في عدة مواضع من القرآن، فقد وردت بصيغة الأمر، والمضارع، والماضي، في مواضع متعددة من القرآن الكريم، والفعل الماضي ورد في اثنى عشر موضعاً، والمضارع في ثلاثة مواضع، والأمر في سبعة مواضع، والاسم في ثلاثة مواضع.

وسوف أبين سر تنوع معناها من حيث انتظامها في سياق مقامات ورودها حتى ينكشف المعنى من ورودها قدر الاستطاعة.

ولقد تنوعت صيغ الأفعال في مادة (وهب) بين الماضي والمضارع والأمر وفيما يأتي نماذج لها.

الفعل الماضي:

الموضع الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ **الأنعام: ٨٤.**

=

(١) النحو الوافي، ٤٧/١.

(٢) السابق، ٤٧/١.

(٣) يُنظر النحو الوافي، ٤٨/١.

(٤) دلائل الإعجاز ٥٠/١.

قولُ الله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) ابتدأ سبحانه بهما عليهما السلام؛ لأن السياق للامتنان على إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو أشد سرورا بابنه الذي متع به، ولم يؤمر بفراقه، وابن ابنه الذي أكثر الأنبياء الداعين إلى الله من نسله ومن خواصه، وهو الموجب الأعظم للبداءة أن أبناءه طهروا الأرض المقدسة التي هي مهاجر إبراهيم عليه السلام، ومختاره للسكنى بنفسه ونسله، بل مختار الله له ولهم بعده بمدد، طهروها من الشرك وعبادة الأوثان، ودعوا إلى الله، ونوروا الأرض بعبادته [١].

- في قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)... ذكر في معرض الامتنان من أولاد إبراهيم إسحاق، ولم يذكر معه إسماعيل، بل أخره عنه بدرجات، مع أنه أكبر منه؛ وذلك لأن المنة كانت في هبة إسحاق أظهر، أو لأن المقصود بالذكر هاهنا أنبياء بني إسرائيل، وهم بأسرهم أولاد إسحاق ويعقوب، وأما إسماعيل فإنه ما خرج من صلبه أحد من الأنبياء إلا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يجوز ذكر محمد عليه الصلاة والسلام في هذا المقام، لأنه تعالى أمر محمدا عليه الصلاة والسلام أن يحتج على العرب في نفي الشرك بالله بأن إبراهيم لما ترك الشرك، وأصر على التوحيد رزقه الله النعم العظيمة في الدين والدنيا، ومن النعم العظيمة في الدنيا أن آتاه الله أولادا كانوا أنبياء وملوكا، فإذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمد عليه الصلاة والسلام امتنع أن يذكر نفسه في هذا المعرض؛ فلهذا السبب لم يذكر إسماعيل مع إسحاق [٢].
- من تمام إقرار العين بالولد كونه صالحًا مهديًا؛ لأن الولد إذا كان غير صالح لم يكن قرة عين، فهبته والنعمة به إنما تتم إذا كان مهديًا، لا إن كان غير مهدي ؛ ولذا قال: (كُلًّا هَدَيْنَا)[٣].
- في قولِ الله تعالى: (وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ) إنما ذكر نوحا؛ لأنه جد إبراهيم عليه السلام؛ فهو لبيان نعم الله عليه في أفضل أصوله؛ تمهيدا لبيان نعمه عليه في الكثير من فروعه [١].

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٧٠/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٥١/١٣)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ١٧٠).

(٣) يُنظر: ((العذب النمير)) للشنقيطي (٤٥٣/١).

وأيضا لما كانت قصة نوح شبيهة بقصة إبراهيم؛ ذكره معه، وبين أنه هدى نوحا من قبل إبراهيم، كما هدى إبراهيم؛ لأن نبي الله نوحا نشأ في قوم يعبدون الأصنام، وهو أول نبي أرسل لقوم يعبدون الأصنام، وجادلوه جدا في الأوثان **(وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا) [نوح: ٢٣- ٢٤]**، وكان يُجادِلُهم في عبادةِ الأصنامِ حتى قالوا له: **قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [هود: ٣٢]**، وكان إبراهيم نشأ في قوم يعبدون أجرام السماء وأجرام الأرض كذلك، وخاصمهم مثل مخاصمة نوح [٢].

وأيضًا لما كان ربما وقع في وهم أن هداية كل من إسحاق وابنه بتربية أبيه، ذكر من آباء الخليل نوحا عليهما السلام؛ لدفع ذلك، ولأن السياق لإنكار الأوثان، وهو أول من نهى عن عبادتها، وهو أجل آباء الخليل عليه السلام.

- قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) ... وكلا فضلنا على العالمين المقصود من هذه الآيات تعديد أنواع نعم الله تعالى على إبراهيم عليه السلام جزاء على قيامه بالذب عن دلائل التوحيد [٣].
- قولُ الله تعالى: (وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ)، (مِن قبلُ) حال من نوحا؛ وفائدة ذكر هذا الحال التنبيه على أن الهداية متأصلة في أصول إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأثبت الجار من وقطع قبل عن الإضافة؛ لتراخي زمان إسحاق ويعقوب عليهما السلام كثيرا عن زمان نوح عليه السلام [٤].
- ذكر الله تعالى أولا أربعة من الأنبياء؛ وهم: نوح، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ثم ذكر من ذريتهم أربعة عشر من الأنبياء: داود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس،

=

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٤٨٨/٧).

(٢) يُنظر: ((العذب النمير)) للشنقيطي (٤٥٣/١).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٥١/١٣).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٧١/٧-١٧٢).

وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوطا، والمجموع ثمانية عشر؛ فإن قيل: رعاية الترتيب واجبة، والترتيب إما أن يعتبر بحسب الفضل والدرجة، وإما أن يعتبر بحسب الزمان والمدة، والترتيب بحسب هذين النوعين غير معتبر في هذه الآية؛ فما السبب فيه؟

فقيل: حرف الواو لا يوجب الترتيب، وأحد الدلائل على صحة هذا المطلوب هذه الآية؛ فإن حرف الواو حاصل هاهنا مع أنه لا يفيد الترتيب البتة، لا بحسب الشرف، ولا بحسب الزمان، وقد يقال: إن هناك وجها من وجوه الترتيب؛ وذلك لأنه تعالى خص كل طائفة من طوائف الأنبياء بنوع من الإكرام والفضل؛ فمن المراتب المعتبرة عند جمهور الخلق: الملك والسلطان والقدرة، والله تعالى قد أعطى داود وسليمان من هذا الباب نصيبا عظيما. والمرتبة الثانية: البلاء الشديد، والمحنة العظيمة، وقد خص الله أيوب بهذه المرتبة والخاصية. والمرتبة الثالثة: من كان مستجمعا لهاتين الحالتين، وهو يوسف عليه السلام؛ فإنه نال البلاء الشديد الكثير في أول الأمر، ثم وصل إلى الملك في آخر الأمر. والمرتبة الرابعة: من فضائل الأنبياء عليهم السلام وخواصهم قوة المعجزات وكثرة البراهين، والمهابة العظيمة والصولة الشديدة، وتخصيص الله تعالى إياهم بالتقريب العظيم والتكريم التام، وذلك كان في حق موسى وهارون. والمرتبة الخامسة: الزهد الشديد، والإعراض عن الدنيا، وذلك كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس. والمرتبة السادسة: الأنبياء الذين لم يبق لهم فيما بين الخلق أتباع وأشياع، وهم إسماعيل واليسع ويونس ولوط؛ فإذا اعتبر هذا الوجه، ظهر أن الترتيب حاصل في ذكر هؤلاء الأنبياء عليهم السلام بحسب هذا الوجه [1].

- قول الله تعالى: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ) يدل على أن اسم الذرية يتناول الكبار.
- قول الله تعالى: (وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ) لما كان يوسف عليه السلام ممن أعلى الله كلمته على كلمة ملك مصر، وأعز ملكها وأهلها وأحياهم

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٣/٥٢-٥٣)، وينظر أيضًا: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٥٧٣- ٥٧٤).

به- أتبعه من أعلى الله كلمتهما على كلمة ملك مصر وأهلها، وأهلكهم بهما، فكأن بعض قصصهم وفاق، وبعضها تقابل وطباق [١].

- قوله: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ).
- قوله: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا)... موقع هذه الجملة- وإن كانت معطوفة- هو موقع التذييل للجمل المقصود منها إبطال الشرك، وإقامة الحجج على فساده، وعلى أن الصالحين كلهم كانوا على خلافه [٢].
- قوله: (كُلًّا هَدَيْنَا) اعتراضٌ، أي: كل هؤلاء هديناهم؛ يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فحذف المضاف إليه لظهوره، وعوض عنه التنوين في كلا؛ فإنه تنوين عوض عن المضاف إليه.
- قوله: (وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ) استطراد بذكر بعض من أنعم الله عليهم بالهدى، وإشارة إلى أن الهدى هو الأصل، وقدم المفعول به (نوحًا) على الفعل والفاعل هدينا؛ للاهتمام .

الموضع الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ إبراهيم: ٣٩.

(الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق).

أي: الحمد لله الذي رزقني- رغم كبر سني- إسماعيل وإسحاق[٣].

(إن ربي لسميع الدعاء).

أي: وهب لي ربي الولدين؛ لأنه يسمع دعاء من يدعوه، ويجيب طلب من يسأله[١].

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٧٥/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٣٣٧/٧).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧٠٢/١٣)، و((تفسير القرطبي)) (٣٧٥/٩)، و((تفسير ابن عاشور)) (٢٤٣/١٣).

قوله تعالى: (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء).

- و(على) في قوله: على الكبر للاستعلاء بمعنى (مع)، أي: وهب ذلك تعليا على الحالة التي شأنها ألا تسمح بذلك، أي: مع الكبر الذي لا تحصل معه الولادة[٢].
- قوله: (إن ربي لسميع الدعاء) تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة، وفيه إيذان بتضاعيف النعمة فيها، حيث وقعت بعد الدعاء بقوله: رب هب لي من الصالحين [الصافات: ١٠٠]، فاقترنت الهبة بقبول الدعوة. وتوحيد ضمير المتكلم وإن كان عقيب ذكر هبتهما؛ لما أن نعمة الهبة فائضة عليه خاصة، وهما من النعم لا من المنعم عليهم، أي: وهب ذلك؛ لأنه سميع الدعاء[٣].
- وفي قوله: (لسميع الدعاء) كنى بـ (سميع الدعاء) عن الإجابة والتقبل – مع إثبات صفة السمع لله على ما يليق بكماله – وكان إبراهيم عليه السلام قد دعا الله أن يهبه ولدا، وصيغ بمثال المبالغة أو الصفة المشبهة؛ ليدل على كثرة ذلك، وأن ذلك شأنه، وفيه إشعار بأنه دعا ربه

=

(١) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧٠٢/١٣)، و((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٢٧/٦) و(١١/١٥)، ((بدائع الفوائد)) لابن القيم (٤/٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٥١٤/٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٤٣/١٣). قال ابن تيمية: (أما قول إبراهيم عليه السلام: إن ربي لسميع الدعاء فالمراد بالسمع هاهنا السمع الخاص، وهو سمع الإجابة والقبول، لا السمع العام؛ لأنه سميع لكل مسموع). ((مجموع الفتاوى)) (١٤/١٥).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٤٣/١٣).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٥٤/٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٤٣/١٣).

وسأل منه الولد، فأجابه ووهب له سؤله حينما وقع اليأس منه؛ ليكون من أجل النعم وأجلاها[١].

الموضع الثالث، الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩﴾ مريم: ٤٩.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠﴾ مريم: ٥٠.

(وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا).

أي: وكلًّا مِن إسحاقَ ويعقوبَ جعَلْناه نبيًّا [٢].

(وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) (٥٠).

(وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا).

أي: وأعطينا إبراهيم وإسحاق ويعقوب علما نافعا، وأعمالا صالحة، ورزقا واسعا، وذرية كثيرة، وشرفا عظيما، وغير ذلك من الخيرات [٣].

قولُه: (وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) لعل ترتيب هبتهما على اعتزاله هاهنا؛ لبيان كمال عظم النعم التي أعطاها الله تعالى إياه، بمقابلة من اعتزلهم من الأهل والأقرباء؛ فإنهما شجرتا الأنبياء، لهما أولاد وأحفاد، أولو شأن خطير، وذو عدد كثير [٤].

---

(١) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢٠١/٣)، و((تفسير أبي حيان)) (٤٤٩/٦)، و((تفسير ابن عاشور)) (٢٤٣/١٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٥٦/١٥)، و((تفسير ابن كثير)) (٢٣٧/٥)، و((نظم الدرر)) للبقاعي (٢٠٩/١٢، ٢١٠)، و((تفسير السعدي)) (ص: ٤٩٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٥٧/١٥)، و((البسيط)) للواحدي (٢٦١/١٤)، و((تفسير ابن عطية)) (١٩/٤)، و((تفسير النيسابوري)) (٤٩٢/٤)، و((نظم الدرر)) للبقاعي (٢١٠/١٢)، و((تفسير السعدي)) (ص: ٤٩٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٢٦٩/٥).

- في قولِه: (وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) خص إسحاق ويعقوب بالذكر؛ لأنهما شجرتا الأنبياء، أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الانفراد.
- وقيل: إنما اقتصر على ذكر إسحاق ويعقوب دون ذكر إسماعيل، فلم يقل: (وهَبْنا له إسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ)؛ لأن إبراهيم لما اعتزل قومه، خرج بزوجه سارة قريبته، فهي قد اعتزلت قومها أيضا إرضاء لربها ولزوجها، فذكر الله الموهبة الشاملة لإبراهيم ولزوجه؛ وهي أن وهب لهما إسحاق وبعده يعقوب، ولأن هذه الموهبة لما كانت كفاء لإبراهيم على مفارقته أباه وقومه، كانت موهبة من يعاشر إبراهيم ويؤنسه، وهما إسحاق ويعقوب. أما إسماعيل فقد أراد الله أن يكون بعيدا عن إبراهيم في مكة؛ ليكون جار بيت الله، وإنه لجوار أعظم من جوار إسحاق ويعقوب أباهما [١].
- والنكتة في ذكر يعقوب: أن إبراهيم رآه حفيدا وسر به؛ فقد ولد يعقوب قبل موت إبراهيم، وأن من يعقوب نشأت أمة عظيمة.
- قولُه: (وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) (كُلًّا) مفعولٌ أوَّلُ لقولِه تعالى: (جَعَلْنَا نَبِيًّا)؛ قُدِّمَ عليه للتَّخصيصِ، لكن لا بالنسبة إلى من عداهم، بل بالنسبة إلى بعضهم، أي: كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض [٢].
- قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا).
- قولُه: (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) فيه إضافة اللسان إلى الصدق، ووصفه بالعلو؛ للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم، وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار، وتحول الدول، وتبدل الملل والنحل [٣].
- وقد رتب جزاء الله إبراهيم على نبذه أهل الشرك ترتيبا بديعا؛ إذ جوزي بنعمة الدنيا وهي العقب الشريف، ونعمة الآخرة وهي الرحمة، وبأثر تينك النعمتين وهو لسان الصدق؛ إذ لا يذكر به إلا من حصل النعمتين.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٢٤/١٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٢٦٩/٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٣/٤)، و((تفسير أبي السعود)) (٢٦٩/٥)، و((تفسير ابن عاشور)) (١٢٥/١٦).

الموضع الخامس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ مريم: ٥٣.

أي: وآتَينا موسى مِن رَحمتِنا له[1] إجابة سؤاله، فجعلنا أخاه هارون نبيا مثله؛ ليعينه [2].

وإنما جعلت تلك الهبة من رحمة الله؛ لأن الله رحم موسى؛ إذ يسر له أخا فصيح اللسان، وأكمله بالإنباء حتى يعلم مراد موسى مما يبلغه عن الله تعالى.

قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا).

- فيه مُناسبةٌ حَسنةٌ؛ حيث قال تعالى هنا: (وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا)، وقال في سُورةِ الفُرقانِ: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا) [الفرقان: ٣٥]**؛ اختلف الوصف بالنبوة والوزارة مع اتحاد المقصود؛ ووجه ذلك: أن السور المتردد فيها ذكر الرسل عليهم السلام منوط فيها ذكرهم بذكر أممهم، وما كان من معاندة الأمم وتكذيبهم، وأخذ المكذبين بمرتكباتهم، ثم إن سورة مريم تضمنت طائفة عظيمة؛ فصل ذكر بعضهم، وأجمل ذكر البعض، وقد تجرد فيها من الإخبار بأحوالهم ذكر التعريف بخصائص من منحهم، وعلي أقدارهم، وما أيدوا به من ذلك، ثم إن النبوة أعظم خصائصهم التي تساووا في تحمل أمانتها، وأفردوا عليهم الصلاة والسلام بها، ولم يشاركهم فيها غيرهم، أما اسم الوزارة والوصف بها فليس مما يخصهم، ولا مما أفردوا به، فلم يكن وصف هارون عليه السلام هنا بها ليناسب هذا القصد العلي، ولا ليلائمه.

---

(١) و(من) في قولِه: مِنْ رَحْمَتِنَا سببيَّةٌ، وأَخَاهُ مَفعولُ قولِه: وَوَهَبْنَا. وقيل: إنَّ (من) هنا للتبعيضِ، وأَخَاهُ بدلٌ. يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (٤٨٢/١)، و((تفسير أبي حيان)) (٢٧٥/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٦١/١٥)، و((تفسير ابن جزي)) (٤٨٢/١)، و((تفسير ابن كثير)) (٢٣٨/٥)، و((نظم الدرر)) للبقاعي (٢١٢/١٢).

وأمَّا قولُه تعالى في سُورةِ الفُرقانِ: **(وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا)[الفرقان: ٣٥]** فمُرتَّبٌ على سُؤالِ موسى عليه السَّلامُ في سُورةِ طه في قولِه: **(وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ) [طه: ٢٩، ٣٠]**؛ فأعطي عليه السلام مطلبه، ورد هذا على الترتيب المتقرر في المصحف. ثم إن ما اتصل بهذه الآية وآية سورة مريم مما قبلهما وبعدهما يستدعي التناسب في مقاطع الآي وفواصلها، فلم يكن ورود الآيتين في السورتين على غير ما ورد ليناسب؛ فجاء ذلك على ما يجب من الوجهين المذكورين، والله أعلم بما أراد [(١)].

الموضع السادس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ الأنبياء: ٧٢.

أي: وأعطينا إبراهيم ابنه إسحاق، وأعطيناه حفيده يعقوب بن إسحاق زيادة، وفضلا منا [(٢)].

---

(١) يُنظر: ((ملاك التأويل)) للغرناطي (٣٢٨/٢-٣٣٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣١٥/١٦، ٣١٧)، و((تفسير القرطبي)) (٣٠٥/١١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٠٨/١٧، ١٠٩). وممن قال بهذا القولِ من السلفِ: عطاءٌ، ومجاهدٌ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣١٦/١٦)، و((تفسير ابن الجوزي)) (٢٠١/٣). قال ابن جرير: (النافلةُ: الفَضلُ مِن الشَّيءِ يَصيرُ إلى الرجُلِ مِن أيِّ شَيءٍ كان ذلك، وكِلَا ولَدَيه إسحاقَ ويعقوبَ كان فضلًا من اللهِ، تفَضَّلَ به على إبراهيمَ، وهِبَةً منه له. وجائزٌ أن يكون عنى به أنَّه آتاهما إيَّاه جميعًا نافلةً منه له، وأن يكونَ عنى أنَّه آتاه نافلةً يَعقوبَ، ولا بُرهانَ يدُلُّ على أيِّ ذلك المرادُ مِن الكلامِ، فلا شيءَ أَولى أن يقالُ في ذلك مِمَّا قال الله: ووَهَبَ اللهُ لإبراهيمَ إسحاقَ ويَعقوبَ نافِلةً). ((تفسير ابن جرير)) (٣١٧/١٦). وقال الشنقيطي: (قَولُه: نَافِلَةً فيه وجهانِ مِن الإعرابِ، فعلى قَولِ مَن قال: النَّافِلةُ: العَطِيَّةُ، فهو ما ناب عن المُطلَقِ مِن «وَهَبْنَا» أي: وهَبْنا له إسحاقَ ويَعقوبَ هِبةً. وعليه النَّافِلةُ: مَصدَرٌ جاء بصيغةِ اسمِ الفاعِلِ، كالعاقِبةِ والعافيةِ. وعلى أنَّ النافلةَ بمعنى الزِّيادةِ، فهو حالٌ مِن =«يَعْقُوبَ» أي: وهبنا له يَعقوبَ في حالِ كَونِه زيادةً على إسحاقَ). ((أضواء البيان)) (١٦٦/٤).

وقوله في هذه الآية الكريمة: نافلة قال فيه ابن كثير: قال عطاء ومجاهد: نافلة: عطية. وقال ابن عباس، وقتادة، والحكم بن عتيبة: النافلة: ولد الولد، يعني أن يعقوب ولد إسحاق.

قال مقيده – عفا الله عنه وغفر له –: أصل النافلة في اللغة: الزيادة على الأصل، ومنه النوافل في العبادات؛ لأنها زيادات على الأصل الذي هو الفرض، وولد الولد زيادة على الأصل الذي هو ولد الصلب، ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

فإن تك أنثى من معد كريمة علينا فقد أعطيت نافلة الفضل

أي أعطيت الفضل عليها، والزيادة في الكرامة علينا، كما هو التحقيق في معنى بيت أبي ذؤيب هذا، وكما شرحه به أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري في شرحه لأشعار الهذليين. وبه تعلم أن إيراد صاحب اللسان بيت أبي ذؤيب المذكور مستشهدا به لأن النافلة الغنيمة – غير صواب، بل هو غلط. مع أن الأنفال التي هي الغنائم راجعة في المعنى إلى معنى الزيادة؛ لأنها زيادة تكريم أكرم الله بها هذا النبي الكريم فأحلها له ولأمته. أو لأن الأموال المغنومة أموال أخذوها زيادة على أموالهم الأصلية بلا ثمن.

وقوله: نافلة فيه وجهان من الإعراب، فعلى قول من قال: النافلة العطية فهو ما ناب عن المطلق من "وهبنا" أي: وهبنا له إسحاق ويعقوب هبة. وعليه النافلة مصدر جاء بصيغة اسم الفاعل كالعاقبة والعافية. وعلى أن النافلة بمعنى الزيادة فهو حال من "يعقوب" أي: وهبنا له يعقوب في حال كونه زيادة على إسحاق.

الموضع السابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ **الأنبياء: ٩٠.**

أي: فاستَجَبْنا لزكريَّا دُعاءَه، ورَزَقْناه ولَدًا اسمُه يحيى[(١)].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٨٨/١٦)، و((تفسير الشربيني)) (٥٢٨/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٣٠).

كما قال تعالى: **(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) [مريم: ٧]**.

(وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ).

أي: وأصلَحْنا لزكريَّا امرأتَه العقيمَ، فجعَلْناها وَلودًا صالِحةً للحَملِ[(١)].

(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ).

أي: إن زكريا وزوجه ويحيى كانوا يبادرون إلى فعل الطاعات، وما يقربهم إلينا [(١)] (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٨٨/١٦)، و((تفسير القرطبي)) (٣٣٦/١١)، و((تفسير ابن كثير)) (٣٧٠/٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٣٠)، و((تفسير ابن عاشور)) (١٣٦/١٧). نسَب الواحدي القولَ بأنَّ المرادَ بإصلاحِ زوجِه أنَّها كانت عاقِرًا= =فجَعَلها اللَّهُ وَلودًا- نسبه إلى أكثرِ المفسِّرينَ. يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (١٧٩/١٥). قال الشنقيطي: (فهذا الإصلاحُ هو كونُها صارت تَلِدُ بعد أن كانت عقيمًا. وقَولُ مَن قال: إنَّ إصلاحَها المذكورَ هو جَعلُها حَسَنةَ الخُلُقِ بعد أن كانت سَيِّئةَ الخُلُقِ: لا ينافي ما ذُكِرَ؛ لجوازِ أن يجمَعَ له بين الأمرينِ فيها، مع أنَّ كونَ الإصلاحِ هو جَعْلَها ولودًا بعد العُقمِ هو ظاهِرُ السِّياقِ، وهو قَولُ ابنِ عبَّاسٍ، وسعيدِ بنِ جُبيرٍ، ومجاهدٍ، وغَيرِهم. والقَولُ الثَّاني يُروى عن عطاءٍ). ((أضواء البيان)) (٣٦٦/٣). ويُنظر: ((تفسير القرطبي)) (٣٣٦/١١)، ((تفسير الشوكاني)) (٥٠٢/٣). وممن اختار الجمعَ بين القولين السابقين: ابن جرير، والسمرقندي، والعُليمي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٨٩/١٦)، ((تفسير السمرقندي)) (٤٤٠/٢)، ((تفسير العليمي)) (٣٨٨/٤). ويُنظر أيضًا: ((تفسير الشوكاني)) (٥٠٢/٣). قال ابن جرير: (والصوابُ مِنَ القَولِ في ذلك أن يُقالَ: إنَّ اللهَ أصلَحَ لزكريَّا زَوجَه، كما أخبَرَ تعالى ذِكرُه، بأن جعَلَها وَلُودًا حَسَنةَ الخُلُقِ؛ لأنَّ كُلَّ ذلك من معاني إصلاحِه إيَّاها، ولم يَخْصُصِ اللهُ جلَّ ثناؤه بذلك بَعضًا دونَ بَعضٍ في كتابِه، ولا على لِسانِ رَسولِه، ولا =وضَعَ على خصوصِ ذلك دَلالةً؛ فهو على العُمومِ ما لم يأتِ ما يَجِبُ التَّسليمُ له بأنَّ ذلك مرادٌ به بعضٌ دونَ بَعضٍ). ((تفسير ابن جرير)) (٣٨٩/١٦).

أي: وكانوا يَدْعُوننا؛ رَغبةً منهم في ثوابِ اللهِ ورَحمتِه، ورَهبةً مِن عذابِه وغَضَبِه[٢].

(وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ).

أي: وكانوا لنا متواضعين خاضعين، متذللين لا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا، قد انكسرت قلوبهم لله، وسكنت عن الالتفات إلى غيره.

قَولُ الله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) يدل على أن (الواو) لا تفيد الترتيب؛ لأن إصلاح الزوج مقدم على هبة الولد، مع أنه تعالى أخره في اللفظ [٣].

الموضع الثامن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ الشعراء: ٢١

وقَوْلُهُ: (﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾) أي فرارًا مبتدئًا منكم؛ لأنهم سبب فراره، وهو بتقدير مضاف، أي: من خوفكم. والضمير لفرعون وقومه الذين ائتمروا على قتل موسى.

وبهذا يَظهَرُ وجْهُ الاسترسالِ في الجوابِ بقولِه: فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ [الشعراء: ٢١]، أي: فكان فراري قد عقبه أن الله أنعم علي، فأصلح حالي وعلمني، وهداني وأرسلني؛ فليس ذلك من موسى مجرد إطناب، بل لأنه يفيد معنى أن الإنسان ابن يومه لا ابن أمسه، والأحوال بأواخرها، فلا عجب فيما قصدت؛ فإن الله أعلم حيث يجعل رسالاته [٤].

"فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ".

قولُه: (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ) لما جمع الضمير في منكم وخفتكم مع إفراده في تمنها وعبدت؛ لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده، ولكن منه ومن ملئه

=

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٨٩/١٦)، و((تفسير ابن كثير)) (٣٧٠/٥)، و((تفسير السعدي)) (ص: ٥٣٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٣٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٧/١٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٨٢/٢٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١١٤/١٩).

المؤتمرين بقتله ؛ بدليلِ قولِه: (إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) [القصص: ٢٠]، وأمَّا الامتنانُ فمِنْهُ وحْدَه، وكذلك التَّعبيدُ(١).

الموضع التاسع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ العنكبوت: ٢٧.

أي: ورَزَقْنا إبراهيمَ بعدَ هِجرتِه مِن أرضِ قَومِه وَلَدَه إسحاقَ، وولدَ ولَدِه يعقوبَ بنَ إسحاقَ(٢).

قولـه تعـالى: (وَوَهَبْنَـا لَـهُ إِسْـحَاقَ وَيَعْقُـوبَ وَجَعَلْنَـا فِـي ذُرِّيَّتِـهِ النُّبُـوَّةَ وَالْكِتَـابَ وَآتَيْنَـاهُ أَجْرَهُ فِـي الدُّنْيَا وَإِنَّـهُ فِـي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّـالِحِينَ) فيـه ذِكْرُ إسـحاقَ وعَقِبِـه، وعـدَمُ ذِكـرِ إسـماعيلَ عليهمـا السَّـلامُ؛ لأنَّـه قـد دَلَّ علـى إسماعيلَ في قولِه: (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)، وكفى الدليل لشهرة أمره، وعلو قدره، ولا يلتبس على كل ذي بصيرة أن النبوة والكتاب لم يستقرا في أحد من الأنبياء استقراره لنبينا صلى الله عليه وسلم؛ فكان في ذكره ذكر جده إسماعيل صلوات الله عليهما (٣).

وقيل: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) ولدًا ونافلةً حينَ أيِسَ مِن الولادةِ مِن عجوزٍ عاقرٍ؛ ولذلك لم يَذكُرْ إسماعيلَ(٤).

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/٣٠٦)، و((تفسير البيضاوي)) (٤/١٣٦)، و((تفسير أبي حيان)) (٨/١٤٧)، و((تفسير أبي السعود)) (٦/٢٣٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٨/٣٨٦)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/٣٤٠)، و((تفسير ابن كثير)) (٦/٢٧٤)، و((تفسير السعدي)) (ص: ٦٣٠). قال القرطبيُّ: (إنَّما وَهَب له إسحاقَ مِن بعدِ إسماعيلَ)، و((تفسير القرطبي)) (١٣/٣٤٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/٤٥١)، و((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١٢/١٦٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/١٩٣).

الموضع العاشر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ **الأحزاب: ٥٠.**

- قَولُ الله تعالى: (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) ذكر وصف النبوة؛ لأنه مدار الإكرام من الخالق، والمحبة من الخلائق؛ تشريفا له به، وتعليقا للحكم بالوصف؛ لأنه لو قال: (إن وهبت نفسها لك) كان ربما وقع في بعض الأوهام أنه غير خاص به صلى الله عليه وسلم [1].
- فالآية فيها أن التخصيص بالحكم لا بد أن يكون له علة تقتضي تخصيص ذلك المحكوم عليه أو له؛ فإن العلة في ذلك أنه نبي، وهذه العلة لا تكون للمؤمنين.
- قَولُ الله تعالى: (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) فيه من خصائصه صلى الله عليه وسلم: النكاح بلفظ الهبة، وبلا مهر ولا ولي وليس ذلك لغيره.
- قولُه: (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) التَّنكيرُ في (امْرَأَةً) للنَّوعيَّةِ، والمعنى: ونُعلِمُك أنَّا أحلَلْنا لك امرأةً مُؤمِنةً بقَيدِ أنْ تهَبَ نفْسَها لك، وأنْ تُرِيدَ أنْ تَتزوَّجَها؛ فقولُه: لِلنَّبِيِّ و(النَّبِيُّ) في الموضعين إظهار في مقام الإضمار؛ والمعنى: إن وهبت نفسها لك وأردت أن تنكحها، وهذا تخصيص من عموم قوله: وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك، فإذا وهبت امرأة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وأراد نكاحها؛ جاز له ذلك بدون ذينك الشرطين، ولأجل هذا وصفت (امْرَأَةً) ب مُؤْمِنَةً؛ ليعلم عدم اشتراط ما عدا الإيمان.

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٥/٣٨١، ٣٨٢).

- وأيضًا في قوله: (إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) إظهارٌ في مَقامِ الإضمارِ؛ لأنَّ مُقْتضَى الظَّاهرِ أنْ يُقالَ: إنْ وهَبَتْ نفْسَها لكَ، والغرَضُ مِن هذا الإظهارِ ما في لَفظِ (النَّبيِّ) مِن تَزكيةِ فِعلِ المرأةِ الَّتي تهَبُ نفْسَها؛ بأنَّها راغبةٌ لِكَرامةِ النُّبوَّةِ. والعُدولُ عن الإضمارِ في قولِه: إنْ أَرَادَ النَّبِيُّ بأنْ يُقالَ: إنْ أراد أنْ يَستنكِحَها؛ لِمَا في إظهارِ لَفظِ (النَّبيِّ) مِن التَّفخيمِ والتَّكريمِ، وبيانِ عُلُوِّ شأنِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم [1] .
- وقولُه: (إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا) جُملةٌ مُعترِضةٌ بيْن جُملةِ إِنْ (وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ وبيْنَ (خَالِصَةً لَكَ)، وليس مَسوقًا للتَّقييدِ؛ إذ لا حاجةَ إلى ذِكرِ إرادتِه نِكاحَها؛ فإنَّ هذا مَعلومٌ مِن معنى الإباحةِ، وإنَّما جِيءَ بهذا الشَّرطِ لِدفْعِ تَوهُّمِ أنْ يكونَ قَبولُه هِبتَها نفْسَها له واجبًا عليه كما كان عُرفُ أهْلِ الجاهليَّةِ، ولِكَيْ لا يُلزِمَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم نفْسَه قَبولَ الهِبةِ لِمَا عُلِم مِن خُلُقِه صلَّى الله عليه وسلَّم؛ لذا أثْبَت الله عزَّ وجلَّ له الإرادةَ والتَّخييرَ في هذه الحالِ، وجَوابُ الشَّرطِ مَحذوفٌ دلَّ عليه ما قبْلَه، والتَّقديرُ: إنْ أراد أنْ يَستنكِحَها فهي حلالٌ له، فهذا شَرطٌ مُستقِلٌّ، وليس شَرطًا في الشَّرطِ الَّذي قبْلَه[2].

الموضع الحادي عشر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ ص: ٣٠.

(وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ).

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/٥٥٠)، و((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١٢/٤٥٨)، و((تفسير أبي حيان)) (٨/٤٩٣)، و((تفسير أبي السعود)) (٧/١١٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٢/٦٩). ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عثيمين – سورة الأحزاب)) (ص: ٣٧٣).

أي: ووهَبْنا لِداودَ ابنَه سُلَيمانَ[١].

(نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ).

أي: نِعمَ العَبدُ سُلَيمانُ؛ فهو كثيرُ الرُّجوعِ إلى اللهِ تعالى.

قولُه تعالَى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) الكلام مستأنف مسوق لبسط قصة سليمان بعد أن بسط قصة داود، وجعل التخلص إلى مناقب سليمان عليه السلام من جهة أنه من منن الله على داود عليه السلام؛ فكانت قصة سليمان كالتكملة لقصة داود.

ولهذه النكتة لم تفتتح قصة سليمان بعبارة: (واذكر)، كما افتتحت قصة داود، ثم قصة أيوب، والقصص بعدها، مفصلها ومجملها، غير أنها لم تخل من مواضع أسوة وعبرة وتحذير على عادة القرآن في انتهاز فرص الإرشاد [٢].

- وجملة نعم العبد إنه أواب ثناء على سليمان ومدح له بأنه من جملة من استحقوا عنوان (العَبدُ للهِ)، وهو العنوان المقصود منه التقريب بالقرينة، والمخصوص بالمدح محذوف؛ لتقدم ذكره، أي: نعم العبد سليمان [٣].
- وجملة إنه أواب تعليل للثناء عليه ب نعم العبد. والأواب: مبالغة في الآئب، أي: كثير الأوب، أي: الرجوع إلى الله؛ بقرينة أنه مادحه. ووضع أواب موضع المسبح؛ لأن الأواب –وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله تعالى – من عبادته أن يكثر ذكر الله، ويديم تسبيحه، مؤوبا للتسبيح، مرجعا له؛ لأن كل مؤوب أواب.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨٠/٢٠)، و((تفسير السمرقندي)) (١٦٦/٣)، و((نظم الدرر)) للبقاعي (٣٧٧/١٦)، و((تفسير السعدي)) (ص: ٧١٢)، و((تفسير ابن عثيمين– سورة ص)) (ص: ١٤٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٥٣/٢٣)، و((إعراب القرآن)) لدرويش (٣٥٨/٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٥٣/٢٣، ٢٥٤)، و((إعراب القرآن)) لدرويش (٣٥٨/٨).

الموضع الثاني عشر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ ص: ٤٣.

أي: فاغتَسَل أيُّوبُ، وشَرِبَ مِن ذلك الماءِ، فكَشَف اللهُ ما به مِن ضُرٍّ وداءٍ، ووهَبَ له في الدُّنيا أهْلَه[١]، ومِثْلَهم معهم؛ رَحمةً مِنَ اللهِ تعالى[٢].

قَولُه: (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ) معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا، كأنه قيل: فاغتسل وشرب، فكشفنا بذلك ما به من ضر ، كما في سُورةِ (الأنبياءِ) **(فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ)** [٣] **[الأنبياء: ٨٤]**.

- ولم يَتقَدَّمْ في هذه الآيةِ ولا في آيةِ سُورةِ (الأنبياءِ) أنَّ أيُّوبَ عليه السَّلامُ رُزِئَ أهلَه؛ قيل: يَجوزُ أنْ يَكونَ مَعنى (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) أن الله تعالى أبقى له أهله، فلم يصب فيهم بما يكره، وزاده بنين وحفدة، ويؤيد هذا المحمل وقوع كلمة معهم عقب كلمة ومثلهم؛ فإن (مع) تشعر بأن الموهوب لاحق بأهله، ومزيد فيهم، فليس في الآية تقدير مضاف في قَولِه:(وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ)[٤].

(١) قال ابن جرير: (وهَبْنا له أهْلَه مِن زَوجةٍ ووَلَدٍ). ((تفسير ابن جرير)) (١٠٩/٢٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٠٩/٢٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٢٩/٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٧١٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: ١٨٥، ١٨٦) .

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٢٢٩/٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٧١/٢٣)

من خلال ماسبق يتبين الآتي:

- التعبير بلفظ الماضي جاء لتحقيق غرض معين وهو تحقق الوقوع لا محالة.
- من خلال هذا العرض تبين أن التعبير بلفظ الماضي لمادة (وهب) يأتي أحيانا لإسناد النعم، للعطية والرزق، لإصلاح الذرية.
- الفعل الماضي قد يأتي للدلالة على الحال والاستقبال لغرض بلاغي وهو إنزال الحال والاستقبال منزلة الأمر المحقق، لأن الماضي يدل على تحقق الأمر.

****

الفعل المضارع: الموضع الأول:

(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) مريم: ١٩.

(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ).

أي: قال جبريلُ لِمَريمَ: إنَّما أنا مَلَكٌ مُرسَلٌ من الله إليك، ولستُ كما تظُنِّينَ، فلا تخافي منى[١].

(لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا).

إن قال قائل: الهبة من الله تعالى، فلم أخبر جبريل عن نفسه؟

والجواب من وجوه:

الأول: (قال إنما أنا رسول ربك) يقول الله تعالى: (لأهب لك)، فهو على الحكاية، وحمل الحكاية على المعنى، على تأويل: قال: أرسلت إليك؛ لأهب لك، فحذف من الكلام (أرسلت)؛ لدلالة ما ظهر على ما حذف.

الثاني: جبريل عليه السلام قال لمريم: إنما أنا رسول ربك أرسلني لأهب لك؛ إذ كان النافخ في جيبها بأمر الله، فتكون الهبة في المعنى من الله، وهي في اللفظ مسندة إلى جبريل؛ لأن الرسول والوكيل قد يسندان هذا النحو إلى أنفسهم، وإن كان الفعل للموكل والمرسل؛ للعلم بأنه في المعنى للمرسل، وأن الرسول مترجم عنه[٢].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٨٨/١٥)، و((تفسير ابن كثير)) (٢٢٠/٥)، و((نظم الدرر)) للبقاعي (١٨٤/١٢)، و ((تفسير ابن عاشور)) (٨١/١٦).

(٢) ينظر: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٤٤٠، ٤٤١).

الثالث: أنه جعل الهبة من قبله؛ لكونه سببا فيها من جهة كون الإعلام لها من جهته[١].

- قوله: (إنما أنا رسول ربك) فيه قصر إضافي، أي: لست بشرا؛ ردا على قولها: (إن كنت تقيا) المقتضي اعتقادها أنه بشر[٢].
- (لأهب لك غلاما زكيا)؛ فوقع التفات من طريقة الغيبة إلى طريقة التكلم[٣].
- وفيه مناسبة حسنة؛ فالكلام في الموضعين على لسان الملك من عند الله، ولكنه أسند في هذه القصة إلى الملك؛ لأنه جواب عن خطابها إياه، وأسند في قصة زكريا إلى الله؛ لأن كلام الملك كان تبليغ وحي عن الله جوابا من الله عن مناجاة زكريا[٤].

التحليل اعتمادًا على سياق النظم:

والآن فإلى قصة أعجب من قصة ميلاد يحيى. إنها قصة ميلاد عيسى. وقد تدرج السياق من القصة الأولى ووجه العجب فيها هو ولادة العاقر من بعلها الشيخ، إلى الثانية ووجه العجب فيها هو ولادة العذراء من غير بعل! وهي أعجب وأغرب.

وإذا نحن تجاوزنا حادث خلق الإنسان أصلا وإنشائه على هذه الصورة، فإن حادث ولادة عيسى ابن مريم يكون أعجب ما شهدته البشرية في تاريخها كله، ويكون حادثا فذا لا نظير له من قبله ولا من بعده.

والبشرية لم تشهد خلق نفسها وهو الحادث العجيب الضخم في تاريخها! لم تشهد خلق الإنسان الأول من غير أب وأم، وقد مضت القرون بعد ذلك الحادث فشاءت الحكمة الإلهية أن تبرز العجيبة الثانية في مولد عيسى من غير أب، على غير السنة التي جرت منذ وجد الإنسان على هذه الأرض، ليشهدها البشر ثم تظل في سجل الحياة الإنسانية بارزة فذة تتلفت

---

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٧/٢٤٩)، و((تفسير الشوكاني)) (٣/٣٨٧).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٦/٨١).

(٣) نظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٦/٨٣).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٦/٨٣).

إليها الأجيال إن عز عليها أن تتلفت إلى العجيبة الأولى التي لم يشهدها إنسان!

لقد جرت بسنة الله التي وضعها لامتداد الحياة بالتناسل من ذكر وأنثى في جميع الفصائل والأنواع بلا استثناء، حتى المخلوقات التي لا يوجد فيها ذكر وأنثى متميزان تتجمع في الفرد الواحد منها خلايا التذكير والتأنيث. جرت هذه السنة أحقابا طويلة حتى استقر في تصور البشر أن هذه الطريقة الوحيدة، ونسوا الحادث الأول. حادث وجود الإنسان لأنه خارج عن القياس. فأراد الله أن يضرب لهم مثل عيسى ابن مريم – عليه السلام – ليذكرهم بحرية القدرة وطلاقة الإرادة، وأنها لا تحتبس داخل النواميس التي تختارها. ولم يتكرر حادث عيسى لأن الأصل هو أن تجري السنة التي وضعها الله، وأن ينفذ الناموس الذي اختاره. وهذه الحادثة الواحدة تكفي لتبقى أمام أنظار البشرية معلما بارزا على حرية المشيئة، وعدم احتباسها داخل حدود النواميس (ولنجعله آية للناس).

ونظرا لغرابة الحادث وضخامته فقد عز على فرق من الناس أن تتصوره على طبيعته وأن تدرك الحكمة في إبرازه، فجعلت تضفي على عيسى ابن مريم – عليه السلام – صفات ألوهية، وتصوغ حول مولده الخرافات والأساطير، وتعكس الحكمة من خلقه على هذا النحو العجيب، – وهي إثبات القدرة الإلهية التي لا تتقيد – تعكسها فتشوه عقيدة التوحيد.

والقرآن في هذه السورة يقص كيف وقعت هذه العجيبة، ويبرز دلالتها الحقيقية، وينفي تلك الخرافات والأساطير.

والسياق يخرج القصة في مشاهد مثيرة، حافلة بالعواطف والانفعالات، التي تهز من يقرؤها هزا كأنما هو يشهدها:

وهنا يتمثل الخيال تلك العذراء الطيبة البريئة ذات التربية الصالحة، التي نشأت في وسط صالح وكفلها زكريا، بعد أن نذرت لله جنينا. وهذه هي الهزة الأولى.

(قال: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا). وليتمثل الخيال مقدار الفزع والخجل.

وهذا الرجل السوي – الذي لم تثق بعد بأنه رسول ربها – فقد تكون حيلة فاتك يستغل طيبتها – يصارحها بما يخدش سمع الفتاة الخجول، وهو أنه يريد أن يهب لها غلاما، وهما في خلوة – وهذه هي الهزة الثانية[1].

الموضع الثاني، الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ الشورى: ٤٩.

(لله ملك السماوات والأرض).

أي: لله وحده ملك السموات وملك الأرض، وله وحده التصرف في سلطانه الواسع بما يشاء.

(يخلق ما يشاء).

أي: يخلق الله ما يشاء خلقه[2].

(يهب لمن يشاء إناثا).

أي: يعطي الله لمن يشاء من خلقه إناثا فقط[3].

(ويهب لمن يشاء الذكور).

أي: ويعطي الله لمن يشاء من خلقه ذكورا فقط[4].

قوله تعالى: (يهب لمن يشاء) فيه أن الأولاد هبة من الله عز وجل، والهبة: هي العطية بلا عوض، وأنه لا اختيار للمرء بالنسبة للأولاد؛ حيث

---

(١) في ظلال القرآن، ٢٢٨٦/١.

(٢) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٣٦/٢٠)، و((تفسير السعدي)) (ص: ٧٦٢)، و((تفسير ابن عثيمين– سورة الشورى)) (ص: ٣٣٩، ٣٤٠).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٣٦/٢٠)، و((تفسير السمرقندي)) (٢٤٩/٣)، و((تحفة المودود)) لابن القيم (ص: ٢٠)، و((تفسير ابن كثير)) (٢١٦/٧)، و((تفسير ابن عاشور)) (١٣٨/٢٥).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٣٦/٢٠)، و((تفسير السمرقندي)) (٢٤٩/٣)، و((تفسير القرطبي)) (٤٨/١٦)، و((تحفة المودود)) لابن القيم (ص: ٢٠)، و((تفسير ابن كثير)) (٢١٦/٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٨/٢٥).

جعل الأمر راجعا إلى مشيئته تبارك وتعالى[١]، فالأولاد جميعا من الذكور والإناث مواهب الله تعالى وهداياه، فيجب أن يقبلوها منه قبول الهدايا والهبات على الشكر له والمنة[٢]، فما قدره الله بين الزوجين من الولد فقد وهبهما إياه، وكفى بالعبد تعرضا لمقته أن يتسخط ما وهبه[٣].

وقول الله تعالى: (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) فيه سؤال: لم قال في إعطاء الإناث وحدهن، وفي إعطاء الذكور وحدهم بلفظ (الهبة)، فقال: يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور، وقال في إعطاء الصنفين معا: أو يزوجهم ذكرانا وإناثا؟

الجواب: أن كل شيئين يقرن أحدهما بالآخر فهما زوجان، وكل واحد منهما يقال له: (زوج)، والكناية في يزوجهم عائدة على الإناث والذكور التي في الآية الأولى، والمعنى: يقرن الإناث والذكور، فيجعلهم أزواجا[٤].

في قوله تعالى: (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) تمام قدرة الله تبارك وتعالى؛ حيث خلق من هذه النطفة وهي واحدة؛ خلق منها ذكورا خلصا، وإناثا خلصا، وأصنافا ذكورا وإناثا، مع أن الماء واحد، ولكن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير[٥]، وأيضا لما استوى البشر في الإنسانية والنكاح الذي هو سبب الولادة، واختلفت أصناف أولادهم؛ كان ذلك أدل دليل على أنه لا اختيار لأحد معه، وأن الأسباب لا تؤثر أصلا إلا به[٦].

قال تعالى: (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور) إلى قوله: (إنه عليم قدير) هذا المقام شبيه بقوله تعالى عن عيسى عليه السلام: **(ولنجعله آية للناس) [مريم: ٢١]** أي: دلالة لهم على قدرته تعالى

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشورى)) (ص: ٣٤٣).

(٢) ينظر: ((تفسير الماتريدي)) (١٤٠/٩).

(٣) ينظر: ((تحفة المودود)) لابن القيم (ص: ٢٠).

(٤) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٦١٠/٢٧).

(٥) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشورى)) (ص: ٣٤٤).

(٦) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣٥٣/١٧).

وتقدس؛ حيث خلق الخلق على أربعة أقسام؛ فآدم عليه السلام مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى، وحواء عليها السلام مخلوقة من ذكر بلا أنثى، وسائر الخلق سوى عيسى عليه السلام من ذكر وأنثى، وعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر؛ فتمت الدلالة بخلق عيسى بن مريم عليهما السلام؛ ولهذا قال: ولنجعله آية للناس، فهذا المقام في الآباء، والمقام الأول في الأبناء، وكل منهما أربعة أقسام؛ فسبحان العليم القدير(١).

فهذه القسمة الرباعية في الأصول كالقسمة الرباعية في الفروع؛ فتمت الدلالة على أنه ما شاء كان ولا راد له، وما لم يشأ لم يكن ولا مكون له، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع سبحانه(٢).

بلاغة الآية: – قوله: (لله ملك السماوات والأرض) استئناف بياني؛ لأن ما سبقه من عجيب خلق الإنسان الذي لم يهذبه الهدي الإلهي، يثير في نفس السامع سؤالا عن فطر الإنسان على هذين الخلقين اللذين يتلقى بهما نعمة ربه وبلاءه، وكيف لم يفطر على الخلق الأكمل؛ ليتلقى النعمة بالشكر، والضر بالصبر والضراعة؟ وسؤالا أيضا عن سبب إذاقة الإنسان النعمة مرة والبؤس مرة، فيبطر ويكفر، وكيف لم يجعل حاله كفافا لا لذات له ولا بلايا كحال العجماوات؟ فكان جوابه: أن الله المتصرف في السموات والأرض يخلق فيهما ما يشاء من الذوات وأحوالها، وهو جواب إجمالي إقناعي يناسب حضرة الترفع عن الدخول في المجادلة عن الشؤون الإلهية(٣).

– وأيضا قوله: (لله ملك السماوات والأرض) وارد على نمط الآيات السابقة، وهي: وهو الذي يقبل التوبة عن عباده [الشورى: ٢٥]، وهو الذي ينزل الغيث [الشورى: ٢٨]، ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة [الشورى: ٢٩]، ولما ذكر بث الحيوان، وأراد أن يبين كيفية البث قدم استبداده بالملك، واستقلاله بالملكوت، ثم ثنى بأنه خالق لما يشاء، فاعل لما يريد، له التصرف في ملكه ما يشاء كيف يشاء، ثم ثلث

(١) ينظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢١٦/٧)

(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣٥٦/١٧).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٦/٢٥، ١٣٧).

بقوله: يهب لمن يشاء؛ فترقى من ذلك العام إلى ذكر الإناث، ثم إلى إفراد الذكور، ثم إلى جمعهما، فلا يدخل في الكلام إرادة الإنسان وكراهته، وأما قوله: (ويجعل من يشاء عقيما) فهو كالاستدراك وتتميم معنى الاستبداد بالخلق؛ ولذلك غير العبارة إلى ويجعل من يشاء[١].

- وفي قوله: (يخلق ما يشاء) إجمال يبعث المتأمل المنصف على تطلب الحكمة في ذلك، فإن تطلبها انقادت له، كما أومأ إلى ذلك تذييل هذه الجملة بقوله: (إنه عليم قدير)، فكأنه يقول: عليكم بالنظر في الحكمة في مراتب الكائنات وتصرف مبدعها؛ فكما خلق الملائكة على أكمل الأخلاق في جميع الأحوال، وفطر الدواب على حد لا يقبل كمال الخلق، كذلك خلق الإنسان على أساس الخير والشر، وجعله قابلا للزيادة منهما، على اختلاف مراتب عقول أفراده وما يحيط بها من الاقتداء والتقليد، وخلقه كامل التمييز بين النعمة وضدها؛ ليرتفع درجات وينحط دركات مما يختاره لنفسه[٢].
- قوله: (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور) بدل من جملة يخلق ما يشاء بدل اشتمال؛ لأن خلقه ما يشاء يشتمل على هبته لمن يشاء ما يشاء، وهذا الإبدال إدماج مثل جامع لصور إصابة المحبوب، وإصابة المكروه؛ فإن قوله: ويجعل من يشاء عقيما هو من المكروه عند غالب البشر، ويتضمن ضربا من ضروب الكفران، وهو اعتقاد بعض النعمة سيئة في عادة المشركين من تطيرهم بولادة البنات لهم[٣].
- وتنكير(إناثا)؛ لأن التنكير هو الأصل في أسماء الأجناس، وتعريف الذكور باللام؛ لأنهم الصنف المعهود للمخاطبين، فاللام لتعريف الجنس، وإنما يصار إلى تعريف الجنس لمقصد، أي: يهب ذلك الصنف الذي تعهدونه، وتتحدثون به، وترغبون فيه. وقيل: نكرهن وعرف الذكور؛ لانحطاط رتبتهن، لئلا يظن أن التقديم كان لأحقيتهن به.

---

(١) ينظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١٤/٨٥، ٨٦).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٥/١٣٧).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٥/١٣٨).

- وفي قوله: (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور) قدم الإناث مع أن جهتهن التأخير؛ لأن الآية سيقت لبيان عظمة ملكه سبحانه ومشيئته، وأنه فاعل ما يشاء، لا ما يشاؤه عبيده، ولما كان الأبوان لا يريدان إلا الذكور غالبا قدمهن في الذكر؛ لبيان نفوذ إرادته ومشيئته، وانفراده بالأمر. وقيل: تقديم الإناث لأنهن أكثر لتكثير النسل. وقيل: بدئ في هذه الآية بذكر الإناث؛ تأنيسا بهن، وتشريفا لهن؛ ليهتم بصونهن، والإحسان إليهن. وقيل: جبرا لهن؛ من أجل استثقال الوالدين لمكانهن.

وقيل: قدم الإناث في الذكر على الذكور في قوله: (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور)، ثم في الآية الثانية قدم الذكور على الإناث، فقال: (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) ؛ وذلك لوجوه؛ الأول: أن الكريم يسعى في أن يقع الختم على الخير والراحة والسرور والبهجة، فإذا وهب الولد الأنثى أولا، ثم أعطى الذكر بعده، فكأنه نقله من الغم إلى الفرح، وهذا غاية الكرم، أما إذا أعطى الولد الذكر أولا، ثم أعطى الأنثى ثانيا، فكأنه نقله من الفرح إلى الغم، فذكر تعالى هبة الولد الأنثى أولا، وثانيا هبة الولد الذكر؛ حتى يكون قد نقله من الغم إلى الفرح، فيكون ذلك أليق بالكرم.

الثاني: أنه إذا أعطى الولد الأنثى أولا، علم أنه لا اعتراض له على الله تعالى، فيرضى بذلك، فإذا أعطاه الولد الذكر بعد ذلك، علم أن هذه الزيادة فضل من الله تعالى وإحسان إليه، فيزداد شكره وطاعته، ويعلم أن ذلك إنما حصل بمحض الفضل والكرم.

الثالث: الأنثى ضعيفة ناقصة عاجزة، فقدم ذكرها تنبيها على أنه كلما كان العجز والحاجة أتم، كانت عناية الله به أكثر. الرابع: كأنه يقال: أيتها المرأة الضعيفة العاجزة، قدمتك في الذكر؛ لتعلمي أن المحسن المكرم هو الله تعالى –فمن الآباء والأمهات من يكره وجودها – فإذا علمت المرأة ذلك، زادت في الطاعة والخدمة والبعد عن موجبات الطعن والذم.

وفيه وجه آخر: أنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى، وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده، ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته، وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث؛ لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه، لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم، والأهم واجب التقديم، وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر

البلاء، وأخر الذكور، فلما أخرهم لذلك، تدارك تأخيرهم – وهم أحقاء بالتقديم – بتعريفهم؛ فجبر نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص التأخير بالتعريف؛ لأن التعريف تنويه وتشهير، كأنه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، ليعلم أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن، بل لمقتضى، فقال: أو يزوجهم ذكرانا وإناثا، كما قال: إنا خلقناكم من ذكر وأنثى [الحجرات: ١٣]، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى(١) [القيامة: ٣٩].

- كما أن تقديم الإناث فيه تعريض بالمشركين الذين كانوا يتطيرون بإنجاب البنات، على عكس العادة في تقديم الذكور على الإناث حيثما ذكرا في القرآن، فهذا من دقائق هذه الآية (٢).
- وتغيير العاطف في الثالث، إذ عطف ب أو في قوله: أو يزوجهم دون غيره؛ لأنه قسيم المشترك بين القسمين، ولم يحتج إليه الرابع؛ لإفصاحه بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة، فلو عطف بالواو توهم أنه قسم لكل من القسمين دون المشترك بينهما(٣).
- وفي قوله: (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما) ما يعرف في البلاغة بصحة التقسيم، وهو استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى الذي هو شارع فيه بحيث لا يغادر منه شيئا؛ فإنه سبحانه إما أن يفرد العبد بهبة الإناث، أو بهبة الذكور، أو بهما جميعا، أو لا يهبه شيئا؛ فقد وقعت صحة

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (٢٣٢/٤)، و((تفسير ابن عطية)) (٤٣/٥)، و((تفسير البيضاوي)) (٨٤/٥)، و((حاشية الطيبي على الكشاف)) (٨٥/١٤)، و((تفسير أبي حيان)) (٣٤٨/٩)، و((تحفة المودود بأحكام المولود)) لابن القيم (ص: ٢٠)، و((تفسير أبي السعود)) (٣٧/٨)، و((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٥١٠، ٥١١)، و((تفسير ابن عاشور)) (١٣٨/٢٥).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٨/٢٥).

(٣) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٨٤/٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٣٧/٨)، ((حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي)) (٤٢٧/٧).

التقسيم في هذه الآية على الترتيب الذي تستدعيه البلاغة، وهو الانتقال في نظم الكلام ورصفه من الأدنى إلى الأعلى؛ فقدم هبة الإناث، وانتقل إلى هبة الذكور، ثم إلى هبة المجموع، وجاء في كل قسم من أقسام العطية بلفظ الهبة، وأفرد معنى الحرمان بالتأخير؛ لأن إنعامه على عباده أهم عنده، وتقديم الأهم واجب في كل كلام بليغ، والآية إنما سيقت للاعتداد بالنعم، وإنما أتى بذكر الحرمان ليكتمل التمدح بالقدرة على المنع كما يمدح بالعطاء، فيعلم أنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وعدل من لفظ الحرمان والمنع إلى لفظ هو ردفه وتابعه، وهو لفظ الجعل(١).

- وقوله: (إنه عليم قدير) تذييل وعلة لما قبله؛ ليكون ذريعة إلى ذكر فضل من فضائل هذا النوع من المخلوق، ومنتهى كماله، وغاية درجاته؛ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا؛ ليؤذن بأن المقصود من الخلق: البث والدعوة إلى الله، والتوجه إليه، والعبادة له(٢).

تحليل الآية اعتمادًا على سياق النظم:

قدم سبحانه وتعالى الإناث على الذكور في أول الآية وعكس ذلك في آخرها، وفيه وجه من الحسن، كما هو الحال في الأساليب القرآنية، فأما تقديم الذكران، فهو الأصل ولا حاجة إلى تعليله، وأما تقديم الإناث، فهو مناسب في المحل الذي جعل فيه، لأن الآية تدل على أن الله يفعل ما يشاء ولا دخل لإرادة العبد في فعله تعالى، فهو يفعل ما يشاء حتى في الأسلوب وسياق الكلام، قال الألوسي في روح المعاني: .... وناسب هذا المساق أن يدل في البيان من أول الأمر على أنه تعالى فعل لمحض مشيئته سبحانه، لا مدخل لمشيئة العبد فيه، فلذا قدمت الإناث وأخرت الذكور.... كأنه قيل:

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (٢٣٢/٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٨/٢٥)، ((إعراب القرآن)) لدرويش (٥٤/٩).

(٢) نظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (٨٦/١٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٩/٢٥).

يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء من الأناسي ما لا يهواه، ويهب لمن يشاء منهم ما يهواه[١].

من خلال عرضنا السابق يمكن القول أن الدلالات الزمنية للفعلين الماضي والمضارع في القرآن الكريم قد جاءت موافقة لاستعمالاتها سواء في صيغها الصرفية، أم في سياقها النحوي، وذلك بمساعدة القرائن اللفظية والمعنوية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن اللغة العربية قادرة على التعبير عن الزمن بكل دقائقه وحيثياته التي يمكن للأحداث والأفعال أن تشغلها.

وهي بهذا ترد خير رد على كل الذين يقللون من قدرتها على التعبير والتعامل في مجالات الحياة، ومن خلال عرضنا السابق لدلالة الفعلين الماضي والمضارع يمكن أن نتوقف عند بعض المحطات لعل أهمها: أن الفعل هو ما يدل على وقوع الحدث في الزمن غالبا ويكون مسندا إلى فاعل فيخرج عن هذا المفهوم فعل الأمر. وتكون صيغة الفعل دالة على وقوع الحدث في الزمن بهيئتها الصرفية، فتكون الدلالة الصرفية مطابقة للدلالة الوضعية التي قررها النحاة القدامى للماضي والمضارع.

كما أن الفعلين الماضي والمضارع يحتفظان بدلالتهما على الزمن الصرفي في بعض التراكيب النحوية.

وقد تتفوق القرائن على دلالة الصيغة الصرفية فتحول زمنه إلى الزمن النحوي الذي يتنوع في الدلالة على الماضي أو الحاضر أو المستقبل أو يكون ذا زمن نحوي مبهم تبعاً لتلك القرائن الملابسة للتركيب النحوي.

وقد تكون قرائن التركيب منافية لتخصيص صيغة الفعلين لزمن معين، فتستوعب الصيغة جميع الأزمنة حينما يتجه المتكلم إلى تقرير الحقائق الثابتة الواقعة في جميع الأزمان.

ويمكن التأكيد بأن الفعل العربي بوجه عام يمكن له استيعاب أزمنة مختلفة لاختلاف السياق.

---

(١) روح المعاني، ٥٣/١٣.

والمتحصل مما تقدم، أن الأفعال في القرآن تكتسب دلالتها الزمنية من السياق الواردة فيه، لا من بنيتها الصرفية فحسب، وغالباً ما يكون وراء تحولها ماضياً ومستقبلاً معنى بلاغيًا.

- تبين أن ورود لفظة (وهب) بصيغة المضارع يدل على تجدد الحدث واستمراره.
- قول الله تعالى :(يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور) عبر سبحانه فيهن بلفظ (الهبة)؛ لأن الأوهام العادية قد تكتنف العقل، فتحجبه عن تأمل محاسن التدبيرات الإلهية، وترمى به فى مهاوى الأسباب الدنيوية، فيقع المسلم مع إسلامه فى مضاهاة الكفار فى كراهة البنات، وفى وادى الوأد بتضييعهن أو التقصير فى حقوقهن، وتنبيها على أن الأنثى نعمة، وأن نعمتها لا تنقص عن نعمة الذكر، وربما زادت، وإيقاظا من سنة الغفلة.

****

الفعل الأمر: الموطن الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران: ٨

((ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا)) أى: ويقول الراسخون فى العلم أيضا: يا ربنا، لا تمل قلوبنا عن الهدى والحق بعد إذ هديتنا إليه، فوفقتنا للإيمان بمحكم كتابك ومتشابهه، فلا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ، ممن يتبع ما تشابه من القرآن(١).

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت :كان أكثر دعائه: يا مقلب القلوب، ثبت قلبى على دينك، قالت: فقلت: يا رسول الله، ما أكثر دعاءك: يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك! قال: يا أم سلمة، إنه ليس آدمي إلا

(١) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥/٢٢٨)، و ((تفسير ابن كثير)) (٢/١٣)، و ((تفسير السعدي)) (ص: ١٢٢).

وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ، فتلا معاذ: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا)[١].

(وهب لنا من لدنك رحمة) أى: وأعطنا يا ربنا – تفضلا من عندك – رحمة عظيمة تزيدنا بها إيمانا وثباتا ويقينا وسدادا[٢].

ومن الفوائد التربوية فى الآية: فى قوله تعالى: (ربنا لا تزغ قلوبنا) بيان أن للقلب حالين: حال استقامة، وحال زيغ، والإنسان مضطر إلى أن يسأل الله سبحانه وتعالى ألا يزيغ قلبه، حتى يكون مستقيما؛ فهو لا يملك قلبه؛ لذا لا بد أن يلجأ إلى الله بسؤاله ألا يزيغ قلبه، ولا يغتر بنفسه، ويتكل على إيمانه، فكم من مؤمن زل وارتكس، والعياذ بالله[٣].

- القلب عليه مدار العمل؛ لذلك سلط الله فعل الزيغ عليه فقال: (لا تزغ قلوبنا)[٤].
- التخلية تكون قبل التحلية، ومن ذلك قوله تعالى: (ربنا لا تزغ قلوبنا) ثم قال: وهب لنا من لدنك رحمة، فقدم الله تبارك وتعالى السؤال فى تطهير القلب عما لا ينبغى، على طلب تنويره بما ينبغي؛ لأن إزالة المانع قبل إيجاد المقتضى عين الحكمة [٥].
- الإنسان مضطر إلى ربه فى الدفع والرفع، أو فى الجلب والدفع؛ لأنهم سألوا ألا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم، وسألوا أن يهب لهم منه رحمة؛

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٢) واللفظ له، وأحمد (٢٦٧٢١). حسنه الترمذي، وحسن إسناده الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٧٩/١٠)، وصحح إسناده أحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (٣٥٥/١)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٣٥٢٢).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٢٨/٥)، و((تفسير ابن كثير)) (١٣/٢)، و((تفسير السعدي)) (ص: ١٢٢)، و((تفسير ابن عثيمين– سورة آل عمران)) (٥٢/١–٥٣)، ((تفسير الشربيني)) (١٩٨/١).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة آل عمران)) (٥٥/١).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة آل عمران)) (٥٠/١).

(٥) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢٤٩/٤).

فدعاؤهم ألا يزيغ قلوبهم دعاء بالرفع، ودعاؤهم ب: وهب لنا من لدنك رحمة دعاء بالدفع[١].

ومن اللطائف في الآية:- طلبهم الرحمة من عند الله بقولهم: (وهب لنا من لدنك رحمة) [آل عمران: ٨] حتى لا يكون لأحد عليهم منة سواه، ولأنها متى ما كانت من عنده كانت عظيمة؛ فالعطاء على قدر المعطى[٢].

- في قوله: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا) [آل عمران: ٨] دليل على أن الهدى والضلال من الله تعالى، وأنه متفضل بما ينعم على عباده، لا يجب عليه شيء ما[٣].
- نبه تعالى بقوله: (هب لنا) على أن العبد ينبغي ألا يلتفت إلى شيء من عمله، ولا أن يطلب العوض به، بل يرجو رجاء المفاليس الطالبين للتفضل والهبة لا العوض[٤].

ومن بلاغة الآية : قوله تعالى: (ربنا لا تزغ): فيه تكرار الدعاء بربنا إنك؛ للتنبيه على ملازمته، وللتحذير من الغفلة عنه؛ لما فيه من إظهار الافتقار.

- قوله تعالى: (وهب لنا من لدنك رحمة): التنكير في قوله: رحمة؛ للتعظيم، أي: رحمة عظيمة واسعة.
- وشبه المعقول من الرحمة بالمحسوس من الأجرام من العوض والمعوض في الهبة.
- وفيه تأخير المفعول الصريح رحمة عن الجارين من لدنك؛ للاعتناء بالمقدم، والتشويق إلى المؤخر؛ فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة لوروده، لا سيما عند الإشعار بكونه من المنافع[٥].

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين – سورة آل عمران)) (٥٥/١).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين – سورة آل عمران)) (٥٣/١).

(٣) ينظر: ((تفسير الشربيني)) (١٩٨/١).

(٤) ينظر: ((تفسير الراغب)) (٤٣٣/٢).

(٥) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٩/٢).

الموطن الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ آل عمران:٣٨.

(هنالك دعا زكريا ربه) أي: في ذلك المكان الذي وجد فيه زكريا ذلك الرزق عند مريم، سأل ربه وناداه نداء خفيا(١).

(قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) أي: قال: يا رب، أعطني من عندك ولدا صالحا مباركا(٢).

(إنك سميع الدعاء) أي: ذو سمع لدعاء من دعاك، ومجيب له(٣).

وقوله تعالى: (دَعَا رَبَّهُ)، (وقَالَ رَبِّ): فيه تكرارُ لاسمِ الربِّ الجليل، وهو مِن الإظهارِ في موضِعِ الإضمارِ، وفائدتُه: بيانُ شدَّة تعلُّقه بالله تعالى، ولمناسبةِ ما في الربوبيَّةِ من معاني الإحسانِ لمِثل حالتِه.

﴿هُنالِكَ﴾ كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في إيرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران، فإن فضائل بعض الأقرباء أدلة على فضائل الآخرين، و"هنا" ظرف مكان و"اللام" للدلالة على البعد و"الكاف" للخطاب، أي: في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت إذ يستعار "هنا" و"ثمة" و"حيث" للزمان.

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣٧/٢)، و((أضواء البيان)) للشنقيطي (٣٦٠/٣)، و((تفسير ابن عاشور)) (٢٣٨/٣)، و((تفسير ابن عثيمين – سورة آل عمران)) (٢٣٢/١).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٦٣/٥)، و((تفسير القرطبي)) (٧٢/٤)، و((تفسير ابن كثير)) (٣٧/٢).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٦٣/٥)، و((تفسير القرطبي)) (٧٢/٤)، و((تفسير ابن عثيمين – سورة آل عمران)) (٢٣٣/١)، و يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (١٤٢/٣).

﴿دَعا زَكَرِيّا رَبَّهُ﴾ لما رأى كرامة مريم على الله ومنزلتها منه تعالى رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وإن كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك.

وقيل: لما رأى الفواكه في غير إبانها تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني، فأقبل على الدعاء من غير تأخير، كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى أن ذلك كان هو الموجب للإقبال على الدعاء فقط بل كان جزءا أخيرا من العلة التامة التي من جملتها كبر سنه عليه الصلاة والسلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم.

﴿قالَ﴾ تفسير للدعاء وبيان لكيفيته، لا محل له من الإعراب.﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ﴾ كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما، ف"اللام" صلة له و"من" لابتداء الغاية مجازا، أي: أعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد.

﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبتها لحنة، ويجوز أن يتعلق "من" بمحذوف وقع حالا من "ذرية"، أي: كائنة من لدنك، و"الذرية": النسل، تقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى، والمراد ههنا: ولد واحد فالتأنيث في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف، كما في قول من قال: أبوك خليفة ولدته أخرى ... وأنت خليفة ذاك الكمال.

وهذا إذا لم يقصد به واحد معين، أما إذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو: طلحة وحمزة، فلا يجوز أن يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة.

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ﴾ أي: مجيبه، وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الإجابة [1].

الموطن الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ مريم: ٥

(وإني خفت الموالي من ورائي).

(١) تفسير أبي السعود، ج٢/ ٣٠.

أي: وإني – يا رب – خفت أن يضيع أقاربي من بعد موتي الدين والعلم، ولا يقوموا بحقهما[١].

(وكانت امرأتي عاقرا).

أي: وكانت امرأتي عقيما لا تلد أصلا[٢].

(فهب لي من لدنك وليا).

أي: فارزقني – يا رب – من عندك ولدا يقوم بالدين من بعدي حق القيام[٣].

---

(١) ينظر: ((الوسيط)) للواحدي (٣/١٧٥، ١٧٦)، ((تفسير الزمخشري)) (٣/٤)، ((تفسير القرطبي)) (١١/٧٨)، ((منهاج السنة النبوية)) لابن تيمية (٤/٢٢٤-٢٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٥/٢١٢-٢١٣)، ((تفسير الشوكاني)) (٣/٣٨٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٤٨٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٣/٣٦١). قال ابن كثير: (وجه خوفه أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفا سيئا). ((تفسير ابن كثير)) (٥/٢١٢).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٥/٤٥٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٢/١٦٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٤٨٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٣/٣٦٥).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٥/٤٥٧)، ((تفسير ابن جزي)) (١/٤٧٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٤٨٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٣/٣٦١). قال ابن عاشور: =(ومعنى من لدنك: أنه من عند الله عندية خاصة؛ لأن المتكلم يعلم أن كل شيء من عند الله بتقديره وخلقه الأسباب ومسبباتها تبعا لخلقها، فلما قال: من لدنك؛ دل على أنه سأل وليا غير جار أمره على المعتاد من إيجاد الأولاد؛ لانعدام الأسباب المعتادة، فتكون هبته كرامة له). ((تفسير ابن عاشور)) (١٦/٦٧). وينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٢/١٦٩). قال الشنقيطي: (وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: فهب لي من لدنك وليا، يعني بهذا الولي الولد خاصة دون غيره من الأولياء، بدليل قوله تعالى في القصة نفسها: هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة الآية [آل عمران: ٣٨] ، وأشار إلى أنه الولد أيضا بقوله: وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين [الأنبياء: ٨٩]، فقوله: لا تذرني فردا، أي: واحدا بلا ولد). ((أضواء البيان)) (٣/٣٦٥).

ومن بلاغة الآيات: قوله: (وإني خفت الموالي) عطف على قوله تعالى: (إني وهن العظم) مترتب مضمونه على مضمونه؛ فإن ضعف القوى وكبر السن من مبادئ خوفه عليه السلام من يلي أمره بعد موته.

- قوله: (وإني خفت الموالي من ورائي) متعلق بمحذوف ينساق إليه الذهن، أي: فعل الموالي من بعدي، أو جور الموالي[1].
- قوله: (وكانت امرأتي عاقرا) أتى بفعل (كان)؛ للدلالة على أن العقر متمكن منها، وثابت لها؛ فلذلك حرم من الولد منها[2].
- قوله: (فهب لي من لدنك وليا) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها؛ فإن ما ذكره عليه الصلاة والسلام من كبر السن، وضعف القوى، وعقر المرأة: موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الأسباب العادية، واستيهابه على الوجه الخارق للعادة، ولا يقدح في ذلك أن يكون هناك داع آخر إلى الإقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم، كما يعرب عنه قوله تعالى: هنالك دعا زكريا ربه [آل عمران: ٣٨] الآية، وعدم ذكره هاهنا للتعويل على ذكره هناك، كما أن عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكره هاهنا؛ فإن الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية.

الموطن الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ الفرقان: ٧٤.

مناسبة الآية لما قبلها: لما وصفهم سبحانه في الآيات المتقدمة بما دل على أنهم أهل خير وكمال في أنفسهم؛ وصفهم في هذه بما دل على محبتهم الخير والكمال لغيرهم من قرابتهم: أزواجهم، وذريتهم، ومن سواهم[3].

---

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (٤/٣)، ((تفسير البيضاوي)) (٦/٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٥٤/٥).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦٧/١٦).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٥).

والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين.

أي: والذين يدعون الله قائلين: ربنا أصلح أزواجنا وأولادنا وأحفادنا، فنسر في الدنيا برؤيتهم على طاعتك، وفي الآخرة بدخول جنتك.

واجعلنا للمتقين إماما.

أي: واجعلنا قدوة للذين يمتثلون أوامرك، ويجتنبون نواهيك، فيقتدون بنا في الخير.

- قال عكرمة في قوله تعالى: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين): (لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالا، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين)[١].

وقال الحسن في هذه الآية: (والله ما شيء أحب إلى المرء المسلم من أن يرى ولدا أو والدا أو حميما أو أخا مطيعا لله عز وجل)[٢].

- قال الله تعالى: (واجعلنا للمتقين إماما) طلب الرتب العليا في الخير والكمال، والسبق إليها، والتقدم فيها: هو مما يدعونا إليه الله، ويرغبنا بمثل هذه الآية فيه، كما قال تعالى: فاستبقوا الخيرات [البقرة: ١٤٨] ؛ لأن طلب الكمال كمال، ولأن من كانت غايته الرتب العليا إن لم يصل إلى أعلاها لم ينحط عن أدناها، وإن لم يساو أهلها لم يبعد عنها، ومن لم يطلب الكمال بقي في النقص، ومن لم تكن له غاية سامية قصر في السعي، وتوانى في العمل؛ فالمؤمن يطلب أسمى الغايات، حتى إذا لم يصل لم يبعد، وحتى يكون في مظنة الوصول بصحة القصد، وصدق النية[٣].

- هذا الدعاء واجعلنا للمتقين إماما يتضمن ثلاثة أمور: العلم، والتقوى، والتأثير؛ لأن من لم يكن عالما لم يكن قدوة، ومن لم يكن متقيا لم يكن قدوة، ومن لم يكن مؤثرا لم يكن قدوة أيضا، والتأثير بالقول والفعل له دور كبير، تجد مثلا رجلين متقاربين في العلم، لكن أحدهما يصرف الله

---

(١) أخرجه عبد بن حميد، كما في ((الدر المنثور)) للسيوطي (٦/٢٨٤).

(٢) أخرجه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (٦/٤٠٢) (٨٦٦٨)، وينظر: ((الدر المنثور)) للسيوطي (٦/٢٨٤).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٨).

القلوب إليه فيتخذونه قدوة، والآخر لا يحصل له هذا الأمر؛ فلهذا نقول: نزيد على العلم والتقوى التأثير، والتأثير -كما هو معروف - يكون سببه قوة البيان والفصاحة، إذا كان التأثير بالقول، ويكون سببه أيضا الاستقامة وحسن السلوك إذا كان تأثيرا بالفعل. وعلى كل حال فلا تتم الإمامة إلا بهذه الأمور الثلاثة: العلم، والتقوى، والتأثير بالقول أو بالفعل[1].

قوله تعالى: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما).

- إعادة الموصول في المواقع السبعة: والذين يبيتون ... والذين يقولون ربنا اصرف ... والذين إذا أنفقوا ... والذين لا يدعون مع الله إلها ... والذين لا يشهدون الزور ... والذين إذا ذكروا بآيات ربهم ... والذين يقولون ربنا هب لنا ... مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الأول؛ للإيذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله، له شأن خطير، حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل، ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره. وتوسيط العاطف بين الموصولات؛ لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات، وتنبيها على أن كل واحدة منها تستقل بالقصد؛ لعظم خطرها، وكبر أثرها.
- قوله: (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين)، أي: هب لنا أزواجا وذريات مطيعين لك، ولما كانت طاعتهم سببا لسرورهم؛ وضع المسبب موضع السبب للمبالغة، وأن المطلوب الأولي بالأولاد طاعة الله، وجعل هذا الدعاء من جملة صفات الكملة من المؤمنين؛ للدلالة على عظم منزلة من يطلب النكاح لذلك، وهذا بالنسبة إلى الداعي، فكيف بمن يتصف بذلك[2]؟
- و(من) في قوله: من أزواجنا يحتمل أن تكون بيانية، كأنه قيل: هب لنا قرة أعين، ثم بينت القرة وفسرت بقوله: من أزواجنا وذرياتنا. ومعناه: أن يجعلهم الله لهم قرة أعين، وهو من قولهم: رأيت منك أسدا، أي: أنت

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ٣٢٨).

(٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (٣٠١/١١).

أسد. وأن تكون ابتدائية، على معنى: هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح[١].

- وقدم الأزواج على الذرية؛ لأنهم ألصق، ولأنهم الأصل[٢].
- وقوله: (قرة أعين) تركيب كنائي؛ فإذا كانت القرة من (القر) فهي كناية عن السرور؛ لأن العين في حالة السرور باردة، وإذا سالت منها دموع في حالة الفرح كانت باردة؛ فقرة أعينهم على هذا كناية عن سرورهم بأزواجهم وذريتهم، بما هم عليه من الخير والكمال، وإعانتهم لهم عليهما. وإذا كانت القرة من القرور، فهي كناية عن سكون النفس بحصولها على ما يرضيها من الأزواج والذرية[٣].
- في قوله تعالى: (قرة أعين) نكتتان؛ الأولى: التنكير، وإنما جنح إليه لأجل تنكير القرة، والمضاف لا يمكن تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه؛ ليكون السرور غير متناه ولا محدود. وإنما قلل الأعين -أي: جمع جمع القلة-؛ لأن أعين المتقين قلة بالإضافة إلى غيرهم، يدل على ذلك قوله: (وقليل من عبادي الشكور) [سبأ: ١٣].

وهناك وجه آخر لعله أبلغ مما تقدم، وهو أن المحكي كلام كل أحد من المتقين، فكأنه قال: يقول كل واحد من المتقين: اجعل لنا من ذرياتنا قرة أعين؛ فإن المتقين وإن كانوا بالإضافة إلى غيرهم قليلا فإنهم في أنفسهم على كثرة من العدد، والمعتبر في إطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلا في نفسه، لا بالنسبة والإضافة[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٢٩٦/٦)، ((تفسير البيضاوي)) (١٣١/٤)، ((تفسير أبي حيان)) (١٣٣/٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٣١/٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٧).

(٤) يُنظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٥١/٧).

- قوله: (واجعلنا للمتقين إماما) كالتكميل للدعاء، أي: اجعلنا كاملين في أنفسنا، ومكملين لغيرنا، وفي جعل المقتدين متقين إشارة إلى علو درجة الإمام[1].
- قوله: (واجعلنا للمتقين إماما) الإمام هو المتبع المقتدى به، وأفرد (إماما)؛ إما اكتفاء بالواحد عن الجمع، ويدل على الجنس ولا لبس، وإما لأنه مصدر في أصله، وإما لأن المعنى: واجعل كل واحد منا إماما، وإما لاتحادهم واتفاق كلمتهم قالوا: واجعلنا إماما واحدا، وقيل غير ذلك. وحسن الإفراد من جهة اللفظ: وقوعه فاصلة على وزن ما قبلها وما بعدها. ومن جهة المعنى: أن أئمة الهدى كنفس واحدة؛ لاتحاد طريقهم بالسير على الصراط المستقيم، واتحاد وجهتهم بالقصد إلى الله تعالى وحده[2].
- ومدار الكل صدور هذا الدعاء إما عن الكل بطريق المعية وأنه محال؛ لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد، فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد، واتفاقهم على كلمة واحدة؟! وإما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الإمامة، وأنه ليس بثابت جزما، بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد، وأن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء: (واجعلني للمتقين إماما)، خلا أنه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير؛ للقصد إلى الإيجاز، على طريقة قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) [المؤمنون: ٥١][3].

---

(١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (٣٠١/١١).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٢٩٦/٣)، ((تفسير البيضاوي)) (١٣٢/٤)، ((تفسير أبي حيان)) (١٣٣/٨، ١٣٤)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٣١/٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (٨٣/١٩)، ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٢٣١/٦).

الموطن الخامس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ الشعراء: ٨٣.

(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا).

أي: ربِّ أعطِني فَهمًا، وعِلمًا كثيرًا.

(وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ).

أي: واجعَلْني معَ الصَّالحينَ في الدُّنيا والآخرةِ[1].

قولُه تعالى: (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (١٤٧/٦). ممَّن اختار أنَّ المرادَ بالصالحينَ: الأنبياءُ والمرسَلونَ: مقاتلُ بنُ سليمانَ، والثعلبي، والسمعاني، والبغوي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، وجلال الدين المحلي، والشوكاني، والسعدي. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٢٦٩/٣)، ((تفسير الثعلبي)) (١٧٠/٧)، ((تفسير السمعاني)) (٥٤/٤)، ((تفسير البغوي)) (٤٧١/٣)، ((تفسير القرطبي)) (١١٢/١٣)، ((تفسير النسفي)) (٥٦٨/٢)، ((تفسير الخازن)) (٣٢٧/٣)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٨٥)، (تفسير الشوكاني) =(١٢٣/٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣). قيل: المرادُ: في المنزلةِ والدَّرجةِ، وممَّن اختاره: الثعلبيُّ، والبغوي، والقرطبي، والخازن. يُنظر: ((تفسير الثعلبي)) (١٧٠/٧)، ((تفسير البغوي)) (٤٧١/٣)، ((تفسير القرطبي)) (١١٢/١٣)، ((تفسير الخازن)) (٣٢٧/٣). وقال ابن جرير: (وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ يقولُ: واجعَلْني رسولًا إلى خَلقِك؛ حتى تُلحِقَني بذلك بعِدادِ مَن أرسَلْتَه مِن رُسلِك إلى خَلقِك، وائْتَمَنْتَه على وحْيِك، واصطَفَيْتَه لنفْسِك). ((تفسير ابن جرير)) (٥٩٣/١٧). ويُنظر: ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (٥٣٢٠/٨). وقيل: المرادُ بالصالحينَ: أهلُ الجنةِ، وممَّن اختاره: يحيى بنُ سلام. يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (٥٠٨/٢). واختار ابنُ عاشورٍ أنَّ لفظَ الصَّالحينَ يَعُمُّ جميعَ الصَّالحينَ مِن الأنبياءِ والمرسلينَ، والشُّهداءِ والصَّالحينَ. ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٤٥/١٩). وقيل: معنى وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ: أي: وفِّقْني للكمالِ في العملِ؛ لأنتظِمَ به في عِدادِ الكاملينَ في الصلاحِ، الراسخينَ فيه. وممَّن اختار هذا القولَ في الجملةِ: الرازيُّ، والبيضاوي، والألوسي. يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٥١٥/٢٤)، ((تفسير البيضاوي)) (١٤٢/٤)، ((تفسير الألوسي)) (٩٦/١٠).

- لما كان آخر مقاله في الدعوة إلى الدين الحق متضمنا دعاء بطلب المغفرة؛ تخلص منه إلى الدعاء بما فيه جمع الكمال النفساني بالرسالة، وتبليغ دعوة الخلق إلى الله؛ فإن الحجة التي قام بها في قومه بوحي من الله؛ فكان حينئذ في حال قرب من الله، وجهر بذلك في ذلك الجمع؛ لأنه عقب الانتهاء من أقدس واجب وهو الدعوة إلى الدين؛ فهو ابتهال أرجى للقبول. ونظير ذلك دعاؤه عند الانتهاء من بناء أساس الكعبة المحكي في قَولِه تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) إلى قَولِه: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ إلى: إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[1][البقرة: ١٢٧ - ١٢٩] .
- ولفظُ (الصَّالِحِينَ) يعم جميع الصالحين من الأنبياء والمرسلين؛ فيكون قد سأل بلوغ درجات الرسل أولي العزم نوح وهود وصالح والشهداء والصالحين، فجعل الصالحين آخرا؛ لأنه يعم؛ فكان تذييلا [2].

يُستفادُ مِن قَولِه: (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) بعْدَ قولِه: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) ... أن الله تعالى لما حكى عن إبراهيم عليه السلام ثناءه على الله تعالى، ذكر بعد ذلك دعاءه ومسألته، وذلك تنبيه على أن تقديم الثناء على الدعاء من المهمات.

الموطن السادس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ الصافات: ١٠٠.

أي: وقال إبراهيمُ: رَبِّ ارزُقْني صالِحينَ مِن جملةِ الَّذين يُصلِحونَ في الأرضِ بطاعَتِك ولا يَعصُونَك؛ عِوَضًا عن قَومي الكافِرينَ الَّذين فارَقْتُهم.

وطلبه سليمان عليه السلام بعد كمال درجته في الدين والدنيا، فقال: وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين [النمل: ١٩]، وذلك يدل على أن الصلاح أشرف مقامات العباد [3].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٤٤، ١٤٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٤٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٦/٣٤٥).

وصفه بأنه من الصالحين؛ لأن نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحًا؛ فإن صلاح الأبناء قرة عين للآباء، ومن صلاحهم برهم بوالديهم [١].

الموطن السابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ ص: ٣٥.

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي).

أي: قال سُلَيمانُ: رَبِّ استُرْ علَيَّ ذنْبي، وتَجاوَزْ عن مُؤاخَذَتي به [٢].

(وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي).

أي: وهَبْ لي مُلكًا لا يكونُ لأحَدٍ سِوايَ مِثْلُه.

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، عن رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ سُلَيمانَ بنَ داودَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لَمَّا بنى بيتَ المَقدِسِ سأل اللهَ عزَّ وجَلَّ خِلالًا ثلاثةً: سأل اللهَ عزَّ وجلَّ حُكمًا يُصادِفُ حُكمَه، فأُوتِيَه، وسأل اللهَ عزَّ وجَلَّ مُلكًا لا ينبغي لأحَدٍ مِن بَعدِه، فأوتِيَه، وسأل اللهَ عزَّ وجَلَّ حينَ فَرَغ مِن بناءِ المسجِدِ ألَّا يأتيَه أحَدٌ لا يَنهَزُه إلَّا الصَّلاةُ فيه أن يُخرِجَه مِن خَطيئتِه كيَومَ ولَدَتْه أمُّه))[٣].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٤٨/٢٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩٣/٢٠)، ((تفسير الألوسي)) (١٩٤/١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٧١٣).

(٣) أخرجه النَّسائي (٦٩٣) واللفظ له، وابن ماجه (١٤٠٨)، وأحمد (٦٦٤٤). صحَّحه ابنُ حبَّان في ((صحيحه)) (١٦٣٣)، والحاكمُ في ((المستدرك)) (١٨٨/١)، وابنُ القيِّم في ((المنار المُنيف)) (٧٤)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (٦٩٣)، وصحَّح إسنادَه القرطبيُّ في ((التفسير)) (٢٠٧/٥)، والنوويُّ في ((المجموع)) (٢٧٨/٨)، وأحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (١٢٨/١٠)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (١٦٣٣).

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((إنَّ عِفريتًا مِن الجِنِّ جَعَل يَفتِكُ[1] علَيَّ البارحةَ؛ لِيَقطَعَ علَيَّ الصَّلاةَ، وإنَّ اللهَ أمكَنَني منه فذَعَتُّه[2]، فلقد همَمْتُ أن أربِطَه إلى جَنبِ سارِيةٍ مِن سواري المسجِدِ، حتَّى تُصبِحوا تَنظُرونَ إليه أجمَعونَ - أو كُلُّكم - ثمَّ ذكَرْتُ قَولَ أخي سُلَيمانَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، فرَدَّه اللهُ خاسِئًا))[3].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم قام فصلَّى صلاةَ الصُّبحِ وهو خَلْفَه، فقرأَ فالتبَسَتْ عليه القِراءةُ، فلمَّا فرَغَ مِن صلاتِه قال: لو رأيتُموني وإبليسَ، فأهوَيتُ بيَدي، فما زِلتُ أخنُقُه حتَّى وَجدْتُ بَرْدَ لُعابِهِ بيْنَ إصْبَعَيَّ هاتَينِ: الإبهامِ والَّتي تليها! ولولا دَعوةُ أخي سُلَيمانَ لأصبَحَ مَربوطًا بساريةٍ مِن سواري المسجِدِ يَتلاعَبُ به صِبيانُ المدينةِ! فمَنِ استطاع منكم ألَّا يَحولَ بيْنَه وبيْنَ القِبلةِ أحَدٌ فلْيَفعَلْ))[4].

قَولُ الله تعالى(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا) يدل على أنه يجب تقديم مهم الدين على مهم الدنيا؛ لأن سليمان عليه السلام طلب المغفرة أولا، ثم بعده طلب المملكة [5]؛وذلك لأن زوال أثر الذنوب هو الذي يحصل به المقصود، فالذنوب في الحقيقة تتراكم على القلب، وتمنعه من كثير من

---

(١) أي: يغفلُه عن الصلاةِ ويَشغلُه. وأصل الفَتكِ: القتلُ على غفلةٍ وغِرَّةٍ. يُنظر: ((مطالع الأنوار على صحاح الآثار)) لابن قُرْقُول (١٩١/٥)، ((المفهم لما أَشْكَل من تلخيص كتاب مسلم)) لأبي العباس القرطبي (١٥٠/٢).

(٢) أي: خنَقْتُه. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (٢٩/٥).

(٣) رواه البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١) واللفظ له.

(٤) أخرجه أبو داودَ (٦٩٩) مختصرًا، وأحمدُ (١١٧٨٠) واللفظ له. جوَّد إسنادَه ابنُ كثير في ((البداية والنهاية)) (٢٩٣/٦)، وابنُ رجب في ((فتح الباري)) (٤٩٧/٦)، ووثَّق =رجالَه الهَيْثَميُّ في ((مجمع الزوائد)) (٩٠/٢)، وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٦٩٩): (حسَنٌ صحيحٌ).

(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٣٩٤/٢٦).

المصالح، فيسأل الإنسان التخلص من آثار هذه الذنوب قبل أن يسأل ما يريد[١].

- قَولُ الله تعالى: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا) يدل على أن طلب المغفرة من الله تعالى سبب لانفتاح أبواب الخيرات في الدنيا؛ لأن سليمان عليه السلام طلب المغفرة أولا، ثم توسل به إلى طلب المملكة [٢].

في قَولِه (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا) قدم الاستغفار على استيهاب الملك؛ جريا على عادة الأنبياء والصالحين في الأدب، في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم، ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الإجابة.

- وفي إرداف سليمان عليه السلام طلب المغفرة باستيهاب ملك لا ينبغي لأحد من بعده؛ لأنه توقع من غضب الله أمرين: العقاب في الآخرة، وسلب النعمة في الدنيا، وكان سليمان يومئذ في ملك عظيم، فسؤال موهبة الملك مراد به استدامة ذلك الملك، وصيغة الطلب ترد لطلب الدوام.
- وتَنكيرُ (مُلْكًا) لِلتَّعظيمِ.
- وارتَقَى سُلَيمانُ في تَدَرُّجِ سُؤالِه إلى أنْ وَصَف(مُلْكًا) بأنَّه لا يَنبَغي لِأحَدٍ مِن بَعدِه، أيْ: لا يَتأتَّى لِأحَدٍ مِن بَعدِه، أيْ: لا يُعطيهِ اللهُ أحَدًا يَبتَغيه مِن بَعدِه، فكَنَّى بـ(لَا يَنْبَغِي) عن مَعنى (لا يُعطى لِأحَدٍ)، أيْ: لا تُعطيه أحَدًا مِن بَعدي، وهذا مِنَ التَّأدُّبِ في دُعائِه؛ إذْ لم يَقُلْ: لا تُعطِه أحَدًا مِن بَعدي[٣].
- وحكى الله دعاء سليمان، وهو سر بينه وبين ربه؛ إشعارا بأنه ألهمه إياه، وأنه استجاب له دعوته؛ تعريفا برضاه عنه، وبأنه جعل استجابته مكرمة توبته [٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: ١٦٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٣٩٤/٢٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٦٢/٢٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٦٣/٢٣).

"فالسِّياق اللغوي له دور فعّال في توجيه دلالة الأمر، مما يساعد على تحديد دلالة المعاني، وتقريب الدلالات على مستوى المفردات أو التراكيب، فيستحيل أن تعطي معنى كلمة دون وضعها في سياق، وأنَ لا معنى للكلمة خارج السّياق الذي ترد فيه، ولا يتحدّد معناها إلَا به"(١)، وهو عموما عبر علاقاته التركيبية هذه يحقق فائدة في الأسلوب أو النص، حيث يريك المؤخر مقدما، والمحذوف مذكورا، والمضمر مظهرا، وما أبهم واختلط أمره اتضح وما تعدّدت دلالاته أحكمت في وجهة واحدة.

فالسياق له دور في إحكام الدّلالة المباشرة لأسلوب الأمر، إذ يعمل على توجيهها نحو معنى واحد مقصود من بين المعاني التي يسمح بها هذا الأسلوب، كما تعدّ معرفة منزلة المتلفظ بالأسلوب من أهمّ العناصر السياقية التي لها أثر بالغ في تحديد الدلالة المباشرة للأساليب بالنّسبة للسامع أو حتى القارئ، وهذا ما يظهر في سياق الموقف.

ومن خلال ماسبق يتبين لنا:-

- دلالة أسلوب الأمر في القرآن الكريم فيها الكثير من التوجيه نحو مقاصد شرعيّة وأخرى دنيوية، يجليها الأسلوب القرآني بصورة بيانيّة إعجازيّة.
- احتكام اللغة إلى عنصر السياق، وهو الأيقونة المتحكّمة في توجيه الدلالة سواء تعلق الأمر بالسياق اللغُوي بتفريعاته أو السّياق الثقافي أو سياق الموقف، فلا فهم لحديث المتكلّم إلا بإخضاعه للعوامل المحيطة.

(١) الأمر والنهي وفاعلية السياق في تحديد المعنى، آسيا حنك، ص٣٥.

المبحث الثاني
السياق وأثره في اختيار صيغة الإسم

التعبير بالجملة الاسمية:

الاسم يدل على ذات أو معنى[١] فهي كلمة تدل بذاتها على شيء محسوس، –مثل: نحاس، بيت،... – أو شيء غير محسوس، يعرف بالعقل؛ "مثل: التي صدرها اسم مثل عمر قائم والجملة الاسمية لها دلالة بيانية فهي تفيد الدوام والثبوت وبيان ذلك يوضحه عبدالقاهر الجرجاني بقوله" وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء .....فإذا قلت: زيد منطلق. فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد، ويحدث منه شيئاً فشيئاً. بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: زيد طويل وعمرو قصير. فكما لا تقصد هاهنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك: زيد منطلق. لأكثر من إثباته لزيد"[٢].

فالانطلاق ثابت لا يتجدد، وكذلك الطول والقصر، لكن الأسماء تتفاوت في دلالتها على الثبوت، فزيد قائم تختلف عن زيد طويل، فالأول يمكن الانتقال منه إلى حالة أخرى بعكس الثاني فهو ثابت.

وفيما يلي بعض صيغ (وهب) التي وردت بصيغة الاسم ودلالة ذلك.

الموطن الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ آل عمران: ٨.

أي: إنك أنت واسع العطايا والهبات، كثير الإحسان( )، فإننا إنما طلبنا منك هبة الرحمة؛ لأنك أنت الوهاب [٣].

في قوله تعالى: إنك أنت الوهاب إثبات اسم الله الوهاب، وما يتضمنه من صفة الهبة، وهي صفة فعلية لله تعالى [١].

---

(١) انظر بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو، ٢٩.

(٢) دلائل الإعجاز، ٥٠.

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة آل عمران)) (١/٥٤).

قوله تعالى: (إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ): الجملة هنا استئنافية لتعليل السؤال والتوسل (رَبَّنَا لَا تُزِغْ)، أو لتعليلِ إعطاء المسؤول في قوله: (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً).

وقوله: (الوَهَّابُ) صِيغةُ مبالغة، وأُطْلِقت ولم تُقيَّد، حيث لم يَقُل مثلًا: (وهَّاب الهداية)؛ ليتناولَ كلَّ موهوبٍ.

وفيه قصر بتوسيط ضمير الفصل (أنت)؛ للمبالغة؛ لأجل كمال الصفة فيه تعالى؛ لأن هبات الناس بالنسبة لما أفاض الله من الخيرات شيء لا يعبأ به وفيه تأكيد بـ(إنَّ)، وبالجملة الاسميَّة، وبطريق القَصر؛ فإنَّ ضميرَ الفصلِ يأتي لثَلاثِ فوائدَ: الأول: الفصلُ بين الصِّفة والخبر، والثانية: التوكيد، والثالثة: الحَصْر والقَصر[٢].

الموطن الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾ ص: ٩.

أي: أم عند المشركين مفاتيح رحمة ربك – يا محمد – العزيز الغالب على أمره، الوهاب ما يشاء لمن يشاء من عباده؛ من نبوة، وملك، ونعمة، فيهبوها لمن شاؤوا [٣].

– قَولُه: (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ)، أَمْ مُنقطِعةٌ، وهي للإضرابِ الانتِقاليِّ، وهي مُشعِرةٌ باستِفهامٍ بعْدَها هو للإنكارِ والتَّوبيخِ؛ إنكارًا لقَولِهم: **(أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا) [ص: ٨]**، أي: ليست خزائن فضل الله تعالى عندهم فيتصدوا لحرمان من يشاؤون حرمانه من مواهب الخير؛ فإن المواهب من الله يصيب بها من يشاء، فهو يختار للنبوة من يصطفيه، وليس الاختيار لهم فيجعلوا من لم يقدموه عليهم في دينهم غير أهل لأن يختاره الله.

=

(١) يُنظر: ((اشتقاق الأسماء)) للزَّجَّاج (ص: ١٢٦)، ((صفات الله عزَّ وجلَّ الواردة في الكتاب والسُّنة)) لعلوي السَّقَّاف (ص: ٤١٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة آل عمران)) (٥٤/١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٦/٢٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٥٢/١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٥٥/٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٧١٠).

- وتقديمُ الظَّرفِ (عِنْدَهُمْ)؛ للاهتِمامِ؛ لأنَّه مَناطُ الإنكارِ، وهو كقَولِه تعالى: **(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ) [الزخرف: ٣٢].**
- والخزائن: جمع خزانة – بكسر الخاء – وهي البيت الذي يخزن فيه المال أو الطعام، والخزن: الحفظ والحرز. والرحمة: ما به رفق بالغير وإحسان إليه ، وفي قولِه: (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ) شبهت رحمة الله بالشيء النفيس المخزون الذي تطمح إليه النفوس في أنه لا يعطى إلا بمشيئة خازنه.
- الإضافةُ في(خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ) على معنَى لامِ الاختِصاصِ. والعُدولُ عنِ اسمِ الجَلالةِ (الله) إلى وصْفِ (الرَّبِّ)؛ لأن له مزيد مناسبة للغرض الذي الكلام فيه؛ إيماء إلى أن تشريفه إياه بالنبوة، واللطف به من آثار صفة ربوبيته له؛ لأن وصف الرب مؤذن بالعناية والتربية، والإبلاغ إلى الكمال.
- وفي قَولِه: (رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ) أُجريَ على الرَّبِّ صِفةُ (العَزيز)؛ لإبطالِ تَدخُّلِهم في تَصرُّفاتِه، وصِفةُ (الوَهَّاب)؛ لإبطالِ جَعلِهمُ الحِرمانَ مِنَ الخَيرِ تابِعًا لرَغَباتِهم دُونَ موادَّةِ اللهِ تعالى[1].

وأيضًا فالعزيزُ: لمقابلة هؤلاء الذين كانوا في عزة وشقاق؛ ليبين أن عزة الله فوق عزتهم وأنفتهم وحميتهم؛ وأنه غالب لهم وقاهر لهم، والوهاب بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم يعني أنه وهبه النبوة.

- ومعنَى المُبالَغةِ في(الْوَهَّابِ) راجِعٌ إلى خطَرِ المَوهِبةِ وعِظَمِها، وهي: النُّبوَّةُ[2].

الموطن الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ ص: ٣٥.

(إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) أي: إنك كثير الهبات والعطاء لمن تشاء مما تشاء من خزائن رحمتك وفضلك [1].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢١٦/٢٣).

(٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (٢٣٩/١٣).

ومن اللطائف هنا : التوسل إلى الله تعالى بالاسم المناسب لما يدعو به لأنَّ قَولَه: (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) يُناسِبُ قَولَه: (وَهَبْ لِي)، وهذا هو أحدُ معاني قَولِ اللهِ تعالى **(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف: ١٨٠]**؛ فإن أحد معانيها أن تجعلها وسيلة لما تدعو به؛ فإن أردت أن تسأل المغفرة تقول: يا غفور، أو الرحمة فتقول: يا رحيم... وهكذا [٢].

- وجُملةُ إِ(نَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) علة للسؤال كله، والدعاء بالمغفرة والهبة، وتمهيد للإجابة؛ فقامَتْ (إنَّ) مَقامَ حَرفِ التَّفريعِ.
- قَولُه:(إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (أَنْتَ) ضَميرُ فَصلٍ، وأفادَ الفَصلُ به قَصرًا؛ فصارَ المَعنى: أنتَ القَويُّ المَوهِبةِ، لا غَيرُكَ؛ لِأنَّ اللهَ يَهَبُ ما لا يَملِكُ غَيرُه أنْ يَهَبَه[٣].
- ولَمَّا بالَغَ سُلَيمانُ عليه السَّلامُ في صِفةِ هذا المُلْكِ الَّذي طَلَبه، أتى في صِفَتِه تعالى باللَّفظِ الدَّالِّ على المُبالَغةِ، فقال: (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)، أيْ: الكَثيرُ الهِباتِ، لا يَتَعاظَمُ عِندَه هِبةٌ[٤].
- ودَلَّتْ صِيغةُ المُبالَغةِ في (الْوَهَّابُ) على أنه تعالى يهب الكثير والعظيم؛ لأن المبالغة تفيد شدة الكمية، أو شدة الكيفية، أو كلتيهما، بقرينة مقام الدعاء، فمغفرة الذنب من المواهب العظيمة؛ لما يرتب عليه من درجات الآخرة، وإعطاء مثل هذا الملك هو هبة عظيمة.

من خلال ماسبق يتبين لنا:

- في آية (ص) أتت في سياق الدعاء موطن سليمان، وفي (آل عمران) أتت في سياق الدعاء، وفي (ص) الموطن الأول أتت في سياق الخبر عن الله

=

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٠/٩٤)، ((تفسير الماوردي)) (٥/٩٨)، ((تفسير البيضاوي)) (٥/٣٠)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/٤٩٧)، ((تفسير ان عثيمين- سورة ص)) (ص: ١٦٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة ص)) (ص: ١٧٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٣/٢٦٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٩/١٥٧).

تعالى، أما في سياق الدعاء المرتين أتت منفردة فقط الوهاب، وأما في سياق الخبر عن الله أتت مقترنة بالعزيز.

- أتت آية ص٩ {أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِالْوَهَّابِ } في سياق الإنكار على الكفار.
- الوهاب: هو كثير الهبة والمنة والعطية، أي الوهاب له علاقة باسم المنان، فهو الذي يعطي عباده ويمن عليهم ويهب لهم، وموهبته عطاء بلا غرض ولا عوض، فالله تعالى وهاب، يهب لعباده واحدا بعد واحد ويوالي عليهم النعم ويوسع لهم في العطايا.
- ورود لفظ (وهب) بصيغة الاسم يدل على ثبوت الصفة وتحققها.

المبحث الثالث

السياق وأثره في الموازنة بين متشابه النظم في مادة (وهب)

علوم القرآن علوم متعددة، ومن هذه العلوم علم المتشابه، وعلماء اللغة يطلقون المتشابه على ما تماثل من الأشياء، وأشبه بعضها بعضاً، وعلى ما يلتبس من الأمور.

جاء في لسان العرب "أشبه الشيء مثله وفي المثل من أشبه أباه فما ظلم، وأشبهت فلانا وشابهته، واشتبه علي، وتشابه الشيئان واشتبها أشبه كل واحد صاحبه، والمشتبهات من الأمور المشكلات والمتشابهات المتماثلات"(١).

يقول ابن فارس "(شبه) الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدل على تشابُه الشّيء وتشاكُلِهِ لوناً وَوَصْفاً. يقال شِبْه وشَبَه وشَبيه. والشّبَهُ من الجواهر: الذي يشبه الذّهَب.

والمُشَبهَات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمرانِ، إذا أَشْكَلاَ"(٢).

ونفهم من خلال المعنى اللغوي لمادة شبه أنه يدل على الأمور المتماثلة والمتشابهة، وعلى الأمور المشكلة.

والمتشابه الذي نقصده هنا (المتشابه اللفظي) وليس هناك تعريف محدد للمتشابه اللفظي، ولكن يمكن من خلال أقوال المختصين والمؤلفين في هذا المجال، أن نقول: إن الآيات المتشابهات يقصد بها التي وردت بألفاظ متفقة، أو متقاربة، ولكن وقع في بعضها زيادة في موضع ونقص في موضع آخر، أو تقديم وتأخير، أو تعريف وتنكير، أو جمع وإفراد، أو إبدال حرف مكان حرف، أو كلمة مكان أخرى(٣).

وهناك آيات في القرآن تكررت سواء في القصص، أو في موضوعات مختلفة وفي صور شتى.

---

(١) انظر لسان العرب مادة شبه، ٥٠٣/١٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٢٤٣/٣.

(٣) انظر من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص١١.

يقول الزركشي عن المتشابه "وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك"(١).

والمتشابه في القرآن الكريم سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم وقد انبرى علماء أجلاء للبحث في أسرار هذا التشابه، وألفت عدة مؤلفات في هذا الفن، ولعل أشهرها كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي.

وكتاب الكرماني "البرهان في متشابه القرآن، وكتاب "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل لابن الزبير الغرناطي، وغيرها من الكتب.

وبعض المفسرين كما ذكرنا سابقًا اعتمدوا في توجيه المتشابه إلى عدة أمور، ويأتي في مقدمتها النظر إلى السياق عند توجيه المتشابه، يقول الزركشي "وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق"(٢).

فمثلا آية ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ تكررت في أكثر من موضع.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤﴾ **الأنعام: ٨٤.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩﴾ **مريم: ٤٩.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾ **الأنبياء: ٧٢.**

(١) البرهان، ١٧٢/٢.

(٢) البرهان، ١٧٢/٢.

١) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
الأنعام، الأنبياء	و	وهبنا	الزيادة والنقصان
مريم	//		

عطف قول تعالى ﴿وَوَهَبْنَا﴾فى سورتي الأنعام والأنبياء بالواو العاطفة فى سورة مريم، فما سبب هذه الزياة والنقصان؟.

التحليل اعتماداً على السياق النحوي:

عطف فعل (وهبنا) فى سورتي الأنعام والأنبياء بحرف الواو، ولم يقع ذلك فى سورة مريم؛ وذلك بسبب ما استدعاه السياق النحوي لكل آية، إذ عطف قوله ﴿وَوَهَبْنَا﴾فى سورة الأنعام على ﴿ءَاتَيْنَا﴾[1]، أي عطف على قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ **الأنعام: ٨٣.**

وهذا معناه أن الله عز وجل آتى إبراهيم عليه السلام الحجج الذي قارع بها قومه، وأضاف إلى ذلك أن وهب له إسحاق ويعقوب عليهما، فلزم ذلك عطف ﴿وَوَهَبْنَا﴾على الآية المتقدمة عنها.

ووقع عطف ﴿وَوَهَبْنَا﴾فى سورة الأنبياء على قوله تعالى ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ **الأنبياء: ٧١.**

جمعت الواو بين الإنجاء والهبة (الرزق)، ومعنى الكلام (إضافة إلى إنجائه وهبنا له إسحاق ويعقوب)، فجمع بين الجزائين لتعلقهما بإبراهيم عليه السلام.

وحذفت الواو فى سورة مريم فى قوله تعالى ﴿وَهَبْنَا لَهُۥ﴾، بسبب ما تقدم في هذه الآية الكريمة من قوله عز وجل ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ **مريم: ٤٩.**

(١) ينظر: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ج٢، ص٣١٦.

أي أنه لما اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه وما يعبدونه من أوثان "آنسنا وحشته بولد"[(١)]، فكان قوله ﴿وَهَبۡنَا﴾متصلا بما سبقه من حكي ومكملا للسرد، ولهذا لم يلزم ثبوت (واو العاطفة) لاتصال ﴿وَهَبۡنَا﴾ بقوله ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

٢) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
الأنعام، الأنبياء	إسحاق ويعقوب	//	الزيادة والنقصان (زيادة كلمة)
الأنبياء		نافلة	

زيدت في سورة الأنبياء كلمة (نافلة) في قوله تعالى "وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗ"، ونقصت هذه الزيادة في سورتي الأنعام ومريم، واكتفى بقوله (وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ) سبب هذه الزيادة؟.

التحليل اعتماداً على سياق النظم:

ورد في تفسير القرطبي (ت٦٧١هـ) أن معنى (نافلة) "زيادة، ويقال لولد الولد نافة لأنه زيادة"[(٢)]، فوردت لفظة (نافلة) – والتي تعنى الزيادة – في سورة الأنبياء لتتناسق مع ما مر به – في هذه السورة – من الابتلاءات التي تعرض إليها إبراهيم عليه السلام، ابتداءً من تحطيمه للأصنام الوارد في قوله تعالى ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ٥٨﴾ **الأنبياء ٥٧، ٥٨.**

وعزم قومه على حرقه ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨﴾ الأنبياء: ٦٨.

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٦، ج١٣، ص٤٦١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، المصدر السابق، ج١٤، ص٢٣٠.

وصولا إلى تنحيته من كيدهم المربع **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ **الأنبياء ٦٩، ٧٠.**

فهذه الزيادة فى سرد الأحداث والتصريح بالابتلاءات التي أصابت إبراهيم عليه السلام، ناسبها ذكر لفظ (نافلة) دلالة على زيادة الجزاء، فكأنه قال وهبنا له يعقوب كزيادة في الجزاء على ما لقيه.

٣) موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
مريم، الأنبياء	و	كلا	الزيادة والنقصان

عطفت ﴿كَلًّا﴾فى سورتي مريم والأنبياء بالواو، ولم يقع ذلك فى سورة الأنعام، فما سبب ورود الزيادة والنقصان فى هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتماداً على سياق النظم:

سبقت (كلا) بالواو فى سورة مريم وذلك فى قوله تعالى ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾؛ لأن قوله: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ متعلق بإسحاق ويعقوب فقط؛ أي أننا وهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلناهما نبيين، ولذلك وجب ورود حرف الواو هنا.

وعطف قوله تعالى فى سورة الأنبياء ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ بالواو العاطفة؛ لأن قوله "**كلا جعلنا صالحين**" متعلق بإسحاق ويعقوب عليهما السلام، ومعنى الكلام (وهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلناهما صالحين)، فحسن ورود الواو العاطفة التي جمعت بين الهبة وصلاح الأولاد (إسحاق ويعقوب).

وحذفت الواو فى سورة الأنعام فى قوله تعالى﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾؛ لأن الهداية هنا متعلقة بإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، فلم ترد الواو فى هذه الآية حتى لا يتوهم أن الهداية متعلقة بإسحاق ويعقوب فقط، وما يعضد هذا الرأي – بأن الهداية تخص إبراهيم

وذرتيه ومن سبقه من أنبياء – قوله تعالى﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[1] فتعلقت الهداية – هنا – بالجميع ولم تقتصر على إسحاق ويعقوب فقط، ولهذا السبب لم تعطف ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ بالواو، لعدم تطلب سياق الآية ذلك.

ومن خلال ماسبق يتبين الآتي:

- أن المتأمل في القرآن والمتدبر لآياته يجد أن كل كلمة في موقعها الذي يناسب سياقها، فالقرآنً يفَسر بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان، فإنه يفصل في مكان آخر يناسب سياقه، ولذلك فإن تشابه بعض الآيات وتكرار بعض الألفاظ يناسب سياقها الذي وردت فيه فقد تكون الكلمة مجملة هنا، ومفسرة في موضع آخر، وكل تركيب يناسب السياق الذي ورد فيه سواء سياق المقال أو سياق المقام والحال.
- أن اللفظة القرآنية مختارة بدقة؛ لتؤدي دورها فهي مختارة في صيغتها، وقد اصطفيت من ألفاظ متعددة متناسبة مع السياق الذي وردت فيه، وقد يظن أنها مكررة لكن المتأمل يرى أن ورود نفس الآية في مكان آخر مع اختلاف في بعض الألفاظ كفيل بكشف تلك الدلالة الخاصة التي بينتها تلك اللفظة وسر ورودها من خلال سياقها.

ففهمٍ الصيغة من خلال سياقها يعد من أهم القرائن اللفظية التي تُعين على فهم المعنى المراد، وقد ندرك السر وقد لا ندرك.

يقول الخطيب الإسكافي: "إذا أورد الحكيم –ً تقدست أسماؤه – آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غير لفظة عما كانت عليه في الأولى فلابد من حكمة تُطلب، وإن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك، بل جهلتم"[2].

(١) الأنعام ٨٤.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل، ١/٢٥٠.

المبحث الرابع

السياق وأثره في اصطفاء لفظ (وهب) مع ما قاربه من ألفاظ

هناك ألفاظ متقاربة في معانيها يظن بعض الناس أنها بمعنى واحد، وكل هذا يعود إلى الجهل باللغة العربية وأسرارها، وقد تنبه علماء اللغة لذلك وأفردوا كتبا خاصة له. ومن العلماء الذين كانت لهم جهود في بيان الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب) وهو من أوائل الكتب في هذا الشأن، فقد أفرد بابا خاصا سماه (باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه) فقد أبان عن مجموعة من الألفاظ يستعملها بعض الناس بمعنى واحد، ومن ذلك قوله (الظل والْفَيءُ) يذهب الناس إلى أنهما شيء وَاحد وليس كذلك؛ لأن الظل يكون غُدْوَةً وعَشِيةً، ومن أول النهار إلى آخره، ومعنى الظلِّ الستْر، ومنه قول الناس (أَنَا فيِّ ظِلكَ) أي: في ذَارَكَ وسِتْرِك ومنه (ظل الجنة وظل شجرها) إنما هو سترُها وَنواحيها وظل الليل : سواده لأنه يستر كل شيء)[1] وذكر كذلك بعض الألفاظ مثل الحمد والشكر وغيرها.

ولفظة القرآن لا يمكن أن يستبدل بها لفظة مقاربة لها، فهي دقيقة في موضعها، متلاحمة في مكانها من الجملة "لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها أو تنبو عن موضعها أو لا تعيش مع أخواتها"[2].

ومن الألفاظ المتقاربة في معانيها في بحثنا لفظ (أعطى) و(أنعم) وقد وردت آيات قرآنية في ذلك. ولاشك أن هناك أسرار لإيثار لفظ على آخر تستلهم من خلال السياق وهذا ما أحاول كشفه من خلال الألفاظ المتقاربة، وبيان سر هذا التنوع في الألفاظ.

الموطن الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ مريم: ٥٨.

(١) أدب الكاتب، ٢٣/١.

(٢) من بلاغة القرآن، ١٠٥.

أي: أولئك الأنبياء المذكورون في هذه السورة هم الذين أنعم الله عليهم بالهداية والنبوة، والعلم النافع، والعمل الصالح؛ من النبيين من ذرية آدم، وهو إدريس عليه السلام [١].

- اسمُ الإشارةِ (أُولَئِكَ) إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا إلى إدريس عليهم السلام، وما فيه من معنى البعد؛ للإيذان بعلو رتبهم ومنزلتهم في الفضل.

والإتيان به دون الضمير؛ للتنبيه على أن المشار إليهم جديرون بما يذكر بعد اسم الإشارة لأجل ما ذكر مع المشار إليهم من الأوصاف، أي: كانوا أحرياء بنعمة الله عليهم، وكونهم في عداد المهديين المجتبين، وخليقين بمحبتهم لله تعالى، وتعظيمهم إياه.

- قولُه: (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) تلك وإن كانت نعما وهداية واجتباء؛ فقد زادت هذه الآية بإسناد تلك العطايا إلى الله تعالى تشريفا لها؛ فكان ذلك التشريف هو الجزاء عليها؛ إذ لا أزيد من المجازى عليه إلا تشريفه [٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ الأنعام: ٨٤.

أي من قبله هديناه كما هديناه ووهبنا له ذرية صالحة، وكل منهما له خصوصية عظيمة، أما نوح عليه السلام فإن اللّه تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به – وهم الذين صحبوه في السفينة – جعل اللّه ذريته هم الباقين فالناس كلهم من ذريته، وأما الخليل إبراهيم عليه السلام فلم يبعث اللّه عزَّ وجلَّ بعده نبياً إلا من ذريته.

والملاحظ أن هناك اختلافا في الصيغة بين الآيتين ففي الأولى جاء لفظ (أنعم) وفي الثانية لفظ (وهبنا).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٦٥/١٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٢٠/١١)، ((تفسير البيضاوي)) (١٤/٤)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٣١/١٥)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤٤٢/٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٣/١٦).

والمتأمل في اللفظين يجد أن كلا منها جاء في مكانه.

(نعم) النِّعْمَةُ: الحالة الحسنة، وبناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة، والنعمة: التنعم، وبناؤها بناء المرة من الفعل كالضربة والشتمة، والنعمة للجنس تقال للقليل والكثير [1].

و(وهب) الهِبَةُ: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض.

يقال: "وَهَبْتُهُ هِبَةً ومَوْهِبَةً ومَوْهِباً. قال تعالى: ﴿**وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ**﴾ **[الأنعام : ٨٤]**، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ**﴾ **[إبراهيم: ٣٩]** ﴿**إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا**﴾ **[مريم: ١٩]**، فنَسَبَ المَلَكُ إلى نفسه الهِبَةَ لمّا كان سببا في إيصاله إليها، وقد قرئ: لِيَهَبَ لَكِ(١) فنسب إلى الله تعالى، فهذا على الحقيقة، والأوّل على التّوسّع. وقال تعالى: ﴿**فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً**﴾ **[الشعراء: ٢١]**، **وَوَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ [ص: ٣٠]**، ﴿**وَوَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ**﴾ **[ص: ٤٣]**، ﴿**وَوَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا**﴾ **[مريم: ٥٣]**، ﴿**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي**﴾ **[مريم: ٥]**، ﴿**رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**﴾ **[الفرقان: ٧٤]**، ﴿**هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً**﴾ **[آل عمران: ٨]**، ﴿**هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**﴾ **[ص: ٣٥]**، ويوصف الله تعالى بِالْوَاهِبِ والوَهَّابِ بمعنى: أنه يعطي كلًّا على استحقاقه، وقوله: ﴿**إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها**﴾ **[الأحزاب: ٥٠]**. والِاتِّهَابُ: قبولُ الهبةِ، وفي الحديث: «لقد هممت أن لا أَتَّهِبَ إلّا من قرشيّ أو أنصاريّ أو ثقفيّ"[2].

وكان للسياق دوره في اختيار هذه اللفظة دون غيرها في الآية وهذا هو السر في اختلاف التعبير بين الآيتين في كلماتها وحروفها وصياغتها.

لذلك نلحظ تنوعا في الأسلوب وفروقا في التعبير يتناسب مع سياق كل آية حسب المتحدث عنهم.

فجاءت لفظة (وهبنا) في سياق البشارة، ولفظة (أنعم) في سياق إسناد النعمة للمنعم – عز وجل –.

---

(١)يُنظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص٨١٤.

(٢) يُنظر السابق، ص٨٨٤.

الموطن الثاني:

قوله تعالى (وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ) ص٣٥.

وقوله تعالى (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ص ٣٩.

أي: يا سليمان، هذا عطاؤنا الذي أعطيناكه استجابة لما طلبت منا، فأعط من شئت، وامنع من شئت، فلن تحاسب في إعطاء أو منع.

وبعد استعراض الآيتين يتبين أن كل لفظة وقعت موقعها؛ فالسياق في الآية الأولى لاستيهاب الملك، والدعاء، والسياق في الآية الثانية جاء في إعطاء الملك فعبر عن الهبة بالإعطاء.

فعبر في الأية الأولى بلفظة " هب" وفي الثانية بلفظة " عطاؤنا" وجاءت كل لفظة مناسبة لسياقها.

والسؤال الذي يطرح نفسه ما الفرق بين (هب، أعطى)، ومعاجم اللغة تسعفنا في تجلية الفرق بين اللفظتين .

جاء في لسان العرب: وَهَبَ: فِي أَسماءِ اللَّهِ تَعَالَى: الوَهَّابُ. الهِبةُ: العَطِيَّة الخاليةُ عَنِ الأَعْواضِ والأَغْراضِ، فإِذا كَثُرَتْ سُمِّي صاحِبُها وَهَّابًا، وَهُوَ مِنْ أَبنية المُبالغة. غَيْرُهُ: الوَهَّابُ، مِنْ صفاتِ اللَّهِ، المُنعِمُ عَلَى الْعِبَادِ، واللهُ تَعَالَى الوهَّابُ الواهِبُ. وكلُّ مَا وُهِبَ لَكَ، مِنْ ولَد وَغَيْرِهِ: فَهُوَ مَوهُوبٌ. والوَهُوبُ: الرجلُ الكثيرُ الهِباتِ. ابْنُ سِيدَهْ: وَهَبَ لَكَ الشيءَ يَهَبُه وَهْبًا، ووَهَبًا، بِالتَّحْرِيكِ، وهِبَةً؛ وَالِاسْمُ المَوهِبُ، والمَوهِبةُ، بِكَسْرِ الهاءِ فِيهِمَا. وَلَا يُقَالُ: وَهَبَكَه، هَذَا قَوْلُ سِيبَوَيْهِ. وَحَكَى السِّيرَافِيُّ عَنْ أَبي عَمْرٍو: أَنه سَمِعَ أَعرابيًا يَقُولُ لِآخَرَ: انْطَلِقْ مَعِي، أَهَبْكَ نَبْلًا. ووَهَبْتُ لَهُ هِبةً، ومَوهِبَةً، ووَهْبًا، ووَهَبًا إِذا أَعْطَيْتَهُ. ووهَبَ اللهُ لَهُ الشيءَ، فَهُوَ يَهَبُ هِبةً؛ وتَواهَبَ الناسُ بَيْنَهُمْ؛ وَفِي حَدِيثِ الأَحْنَفِ: وَلَا التَّواهُبُ فِيمَا بينَهم ضَعَةٌ؛ يَعْنِي أَنهم لَا يَهَبُونَ مُكْرَهِينَ. ورجلٌ واهِبٌ ووَهَّابٌ ووَهُوبٌ ووَهَّابةٌ أَي كثيرُ الهِبة لأَمْوالِه، وَالْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ. والمَوهُوبُ: الولدُ، صِفَةٌ غَالِبَةٌ. وتَواهَبَ الناسُ: وَهَبَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ. والاسْتِيهابُ: سُؤَالُ الهِبَةِ. واتَّهَبَ: قَبِلَ الهِبَةَ. واتَّهَبْتُ منكَ دِرْهَماً، افْتَعَلْتُ، مِنَ الهِبَةِ. والاتِّهابُ: قَبُولُ الهِبة[1].

(١) يُنظر لسان العرب، ٢٨٩/١٥.

وجاء في لسان العرب " عَطَا: العَطْوُ: التَّنَاوُلُ، يُقَالُ مِنْهُ: عَطَوْت أَعْطُو. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَرْبَى الرِّبا عَطْوُ الرجُلِ عِرْضَ أَخِيه بغَير حَقٍ.

أَي تَنَاوُلُه بالذَّمِّ وَنَحْوِهِ. وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ، رَضِيَ الله عَنْهَا: لَا تَعْطُوهُ الأَيْدِي أَي لَا تَبْلُغُه فتَتناوَلَه. وعَطا الشيءَ وعَطا إِليه عَطْواً: تَناوَله"(١).

والعَطْوُ: التّناول، والمعاطاة: المناولة، والإعطاء: الإنالة. قال تعالى: ﴿**حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ**﴾ **[التوبة: ٢٩]**. واختصّ العطيّة والعطاء بالصّلة.

قال: ﴿**هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ**﴾ **[ص: ٣٩]**(٢).

والناظر في الدلالة المعجمية في القرآن الكريم يجدها بيّنة في اتساع دلالاتها، والمقصود بالحديث عن اتساع الدلالة المعجمية: بيان دقّة القرآن الكريم في اختيار موادّه المعجمية التي تحمل – من خلال تفاعلها مع سياقاتها – دلالات ثرية متعدّدة، لكنها متعاضدة غير متعارضة، مؤتلفة غير مختلفة؛ بحيث تمثّل فروعًا متآزرة، وأغصانًا وارفة تُعطي ظلالًا متعدّدة ممتدة لمعنى أصلي واحد، أو تُعَدّ وجوهًا معتبرة يقتضيها السياق للّفظ الواحد.

(١)يُنظر لسان العرب، ١٩٧/١٠.

(٢) يُنظر مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٧٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر إتمام هذا البحث الذي جعلني أعيش في رحاب القرآن متأملةً مظهرةً بعض الأسرار البلاغية. لمادة (وهب) التي تنوعت بين الاسم والفعل.

وبدأت بمقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وسبب الاختيار، والمنهج المتبع الذي سرت عليه والمصادر التي أفدت منها.

وفي التمهيد بينت مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح وجهود العلماء في ذلك وتعرضت للمفردة (وهب) ومعانيها وجذرها اللغوي.

أما المبحث الأول فقد خصصته بالحديث عن أثر السياق في اختيار الصيغة التي تنوعت بين الاسم والفعل وما ينتج عن ذلك من دلائل بلاغية في استعمال المفردة، مقدمةً نماذج تطبيقية. مبرزةً أثر الصيغة ودلالتها مقدمةً نماذج تطبيقية لصيغة الفعل.

وفي المبحث الثاني تحدثت عن دلالة صيغة الاسم مقدمةً نماذج تطبيقية مبينةً سر اختيار الصيغة.

وفي المبحث الثالث بينت أثر السياق في الموازنة بين متشابه النظم في مادة (وهب).

أما المبحث الرابع فتحدثت فيه عن أثر السياق في اصطفاء لفظ (وهب) مع ما قاربه من ألفاظ، مثل (أعطى) و(أنعم).

وقد خرجت هذه الدارسة بنتائج عدة أبرزها:

١. تبين أن معنى مادة (وهب) تعنى الهِبَةُ: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض. إلا أنه تختلف دلالاتها بحسب السياق الذي وردت فيه.
٢. تشكلت مادة (وهب) بصيغ عدة وكل صيغة في كل سياق وردت فيه جاءت لتحقيق غرض معين.
٣. أن السياق أصل من أصول التفسير وله دور في بيان المعنى الذي وردت فيه اللفظة وأنها تختلف في سياقها عن معناها المعجمي.
٤. تنوع الصيغ التي وردت عليها مادة (وهب) بين الاسم والفعل، فهي مفردة غنية بالمعاني والدلالات بحسب الصيغة الواردة، فهي ثرية بدلالاتها ويختلف معناها من سياق إلى آخر، وهذه المزاوجة أنتجت أسراراً بلاغية.

٥. درست الصيغ التي وردت عليها مادة وهب وقد تنوعت بين الاسم والفعل وكل سياق له ما يناسبه من الألفاظ التي تمزج بين الاسم والفعل حسب السياق الذي وردت فيه والغرض الذي سيق من أجله.
٦. وردت لفظة (وهب) بلفظ الفعل في اثنين وعشرين موضعاً، وبلفظ الاسم في ثلاثة مواضع وهذا له دلالته.
٧. تبين لنا أن مادة (وهب) تتغير باختلاف المقام والغرض منها، فأحيانا ترد بلفظ الاسم، ومرة بلفظ الفعل وهذا التنوع له دلالته في تحقيق الغرض المقصود.
٨. ورود لفظ (وهب) بصيغة الاسم يدل على ثبوت الصفة وتحققها.
٩. تبين أن ورود لفظة (وهب) بصيغة المضارع يدل على تجدد الحدث واستمراره.
١٠. التعبير بلفظ الماضي جاء لتحقيق غرض معين وهو تحقق الوقوع لا محالة.
١١. من خلال البحث تبين أن التعبير بلفظ الماضي لمادة (وهب) يأتي أحيانا لإسناد النعم وللعطية والرزق، ولإصلاح الذرية.
١٢. بين البحث أثر السياق بين متشابه النظم وأن لذلك أسراراً قد ندركها وقد لا ندركها.
١٣. أبان البحث أثر السياق في تغيير معنى لفظة (وهب) وتنوع دلالتها حسب السياق الواردة فيه.
١٤. كشف البحث أثر السياق في اصطفاء لفظ (وهب) مع ما قاربه من ألفاظ وتبين أن كل لفظ يناسب السياق الذي ورد فيه.
١٥. مما لا شك فيه أن اطراد لفظ الهبة مع الذرية في القرآن الكريم – غالبا – له سر دقيق ومعنى أنيق رشيق.

ومن التوصيات:

أن ينبري الدارسون للبحث في بلاغة القرآن الكريم فهي بلاغة لا تنتهي، على أن يتسلحوا بالأدوات التي تعينهم على ذلك، وألا يتصدى لهذه الدراسة إلا من ملك هذه الأدوات، ولا غرابة فالقرآن الكريم معين لا ينضب وكل يأخذ منه بقدر جهده وإخلاصه.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، المحقق: شيخ مصطفى ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة.

٢. أدب الكاتب، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المكتبة التجارية، مصر، ط٤، ١٩٦٣، تحقيق: محمد عبدالحميد.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطاء، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، مطبعة السعادة.

٤. أساس البلاغة، تأليف الإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة والنشر بيروت – لبنان.

٥. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د. مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤١٠هـ – ١٩٩١م.

٦. إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق ط: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٧. إعراب القرآن، قاسم حميدان دعاس، دار المنير، دمشق، ١٤٢٥هـ.

٨. أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، أبي بكر جابر الجزائري، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٩. البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

١٠. بدائع الفوائد، ابن القيم، تحقيق: محمد بن إبراهيم الزغلي، دار المعالي، ط١، عمان، الأردن.

١١. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

١٢. بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو، د. نجاة الكوفي، ط، دار النهضة العربية.

١٣. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، إعداد وتحقيق: خالد عبدالرحمن العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
١٤. التحرير والتنوير، للعلامة/ الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – تونس – (١٩٨٤م).
١٥. التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٣٨٣هـ.
١٦. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد البغدادي، المعروف بالخازن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١٧. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، الناشر: أخبار اليوم، المكتبة الوقفية، ١٩٩١م.
١٨. تفسير العثيمين ، دار الثريا للنشر، الرياض، ط٣، ١٤٢٤هـ.
١٩. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، ط: الثانية، ١٣٩٨ هـ – ١٩٨٧م.
٢٠. تفسير القرآن العظيم، للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت – لبنان ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م.
٢١. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي. بدون.
٢٢. التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٢٣. تفسير المراغي، أحمد مصطفي المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٢٤. التفسير المنير، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر – دمشق – سورية، ط: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٢٥. التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢٦. التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، دار الجيل، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ط: الرابعة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٢٧. التفسير الوسيط، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ
٢٨. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
٢٩. تفسير روح البيان، إسماعيل حقي البروسوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط: السابعة: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٣٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تقديم محمد زهري النجار، جدة، دار المدني، ١٩٨٨م.
٣١. جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٣٢. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبدالرازق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، ط: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٣. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، تصنيف محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت - لبنان.
٣٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، الإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف الحلبي، تحقيق: علي محمد عوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٣٥. درة التنزيل وثمرة التأويل، الخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق: د. محمد مصطفى، ط جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٦. دلالة السياق، درة الله الطلحي، طباعة جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ.
٣٧. دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر : مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٨. الرسالة، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الرابعة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.
٤٠. زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، حققه محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله، خرج أحاديثه السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٤١. زهرة التفاسير، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي. بدون.
٤٢. السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٣. السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية، د. سعيد الشهراني، ط. جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
٤٤. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٤٥. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، حققه وخرج أحاديثه: د. عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، ط: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.
٤٦. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين، سليمان بن عمر العجلي الشافعي، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، (١٩٩٦م – ١٤١٦هـ).
٤٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأليف، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت – لبنان .
٤٨. اللباب في علوم الكتاب، للإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحلبي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٤٩. لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٥٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
٥١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دار عالم لكتب للطباعة والنشر، الرياض، ١٤١٢هـ.
٥٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.
٥٣. مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقاهر الرازي، عني بترتيبه: محمود خاطر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
٥٤. المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.
٥٥. المعجم الرائد، جبران مسعود، دار العلم للملايين، ط٧، ١٩٩٢م.
٥٦. معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عبدالحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٥٧. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى أحمد الزيات حامد عبد القادر محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
٥٨. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت.
٥٩. المفردات في غريب القرآن، لأبي حاتم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٦٠. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توفية المتشابه من اللفظ في آيات التنزيل، للإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب.
٦١. من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة.

٦٢. من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، د.محمد بن علي الصامل، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٦٣. الموافقات، إبراهيم بن موسى محمد الشهير بالشاطبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ.
٦٤. النبأ العظيم، د.محمد عبدالله دراز، دار الرسالة، ط٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٦٥. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط١٥. بدون.
٦٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الأندلس للنشر والتوزيع - جدة، ط: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٦٧. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، الدار الشافية، ط ١٤١٥هـ.
٦٨. الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية، سامي بن عبد العزيز العجلان، جامعة الإمام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

References :

1. 'iihkiam al'ahkiam sharah eamadat al'ahkaami, abn diqyq aleaydu, almuhaqiqa: shaykh musatfaa wamudathir sindusi, muasasat alrisalati.
2. 'adab alkatibi, 'abu muhamad eabdaallh bin muslim bin qatybata, almaktabat altijariyti, masr, ta4, 1963, tahaquyqa: muhamad eabdalhamydi.
3. 'iirshiad aleuqal alsalym 'iila mazaya alkatiab alkuruym, liqadiy alqadat 'aby alseud ban mahmud aleumaadii alhanfayi, tahaqyq: eabdalqadir 'ahmad eutaa', alnaashur: maktabit alrayad alhadythat, matbaeat alsaeada.
4. 'asas albalaghit, ta'alyf al'iimam alkabyr jaar aallh 'aby alqasam mahamwd ban eumr alzumakhshari , tahaquyq: eabd alrahym mahmud, dar almaerifat walnashr biyrut - lubnan.
5. 'iiejiaz alqaran walbalaghit alnubuyti, da.musatfaa saadiq alraafieii, dar alkatiab alearabiyi, byrut,1410 - 1991m.
6. 'iiearab alqaran wabayanh, mahy aldyn aldruysh, dar abn kathayr, dimashaq t: 1408h - 1988m.
7. 'iierab alqurani, qasim hamaydan daeasu, dar almunyri, dimashq,1425.
8. 'aysar altafasiyr likalam alealii alqadayr, 'abi bakr jabir aljazayiri, ta2, 1407hi.
9. albuhr almuhayt fay altafsyr, limuhmud bin ywsf, alshahyr biabi hayan al'andilisii algharnatii, dar alfikr liltibaeat walnashr waltawzuye, 1412h - 1992m.
10. budayie alfawayid, abn alqaym, tahaqiyq: mahmud bin 'iibrahim alzaghly, dar almieali, ta1, eaman, al'urdunu.
11. alburhan fi eulum alquran, badr alduyn muhamad bin eabd aallh bin bihaadir alzarkashi, mahmud 'abw alfadal 'iibrahim, altabeit al'uwlaa, 1376 hi - 1957 mu, dar 'iihya' alkutub alearabiyt euysaa albabaa alhalabi washurakayihi.

12. bana' aljumlat biyn mantiq allughat walnuhu, da.najat alkufi, t, dar alnahdat alearabiyti.
13. tfisiyr albaghawi almusamaa maealim altanzyl, lil'iimam 'abi muhamad alhasyn bin maseud alfara' albaghwii alshafieii, 'iiedad watahaqayq: khald eabdalrahman aleak, marwan sawar, dar almaerifat, biyrut - lubnan, t : althaalithat, 1413 hi - 1992m.
14. tifisiyr altaharyr waltanuyr, lil'iimam muhamad altaahir bin eashur .
15. altafsyr alhadayth, muhamad eizat diruzata, dar 'iihya' alkutub alearabiyt alqahirat 1383 hi.
16. tifsuyr alkhaazin almusamaa libaab alta'awuyl fay maeani altanazuyl lil'iimam eala' aldayn ealay bin mahmad albughdadi, almuearuf bialkhaazin, dar almaerifat liltibaeit walnashari, biyrut,lubnan.
17. tifisyr alshaerawi, mahmud mutawili alshearawi, alnaashr: 'akhbaar alywmi, almaktabit alwaqfuyt,1991m.
18. tifisiyr aleathamyna, dar althurya lilnashri, alrayadi, ta3, 1424hi.
19. tifsyr alqasami almusamaa muhasin alta'awyl, mahmud jimal alduyn alqasumi, dar alfikri, t : althaaniyt, 1398 hi - 1987m.
20. tifisiyr alquran aleazym, lil'iimam aljalyl alhaafiz eimad aldyn 'aby alfada' 'iismaeyl bin kathayr alqurashii aldimashqii, dar almaerifat, biyrut - lubnan 1388h - 1969m .
21. altafsiyr alquraniu lilquran, eabd alkarym alkhatayb , dar alfikr alearabii.
22. altafasiyr alkabayr, lil'iimam fakhr alduyn alraazii, dar alkatub alealmayt, biyrut - libinan, ta: al'uwlaa 1411h - 1990m.
23. tifisiyr almaraghi, 'ahmad mustafi almaraghi, dar alkutub alealmuyt, biyrut - lubnan, t : al'uwlaa, 1418h - 1998m.

25. altafasiyr almunayr, al'ustadh alduktur wahbat alzuhyliu, dar alfikr almueasir, biyrut - lubnan, dar alfikr - dimashq - suryt, t : al'uwlaa 1411h- 1991m.
26. altafasiyr almuysari, majamae almalik fahad litibaeit almushaf alshariyf, ta2, 1430h - 2009m.
27. altifsuyr alwadh, d. mahmud muhamwd hajazi, dar aljayl, matbaeit aliaistiqlal alkubraa, alqahirat, t : al arbeat, 1388 - 1968m.
28. altafsyr alwasiyti, da.whbat alzuhyli, dar alfikri, dimashqa, ta1, 1422.
29. altafsyr alwasiyta, muhamad sayd tantawi, dar nahdat misr liltibaeat walnashri, alqahirat,ta1, 1998m.
30. tifisayr ruh albayan, 'iismaeyl haqy alburuswiu, dar 'iihya' alturath alearabyi, biyrut -lubnan, t: alsaabieat: 1405h - 1985m.
31. tiysyr alkuruym alrahmin fay tafsyr kalam alminan, lilshaykh eabdalrahman bin nasr alsaedi, taqadym muhamad zahri alnajar, jidat, dar almadanii,1988m.
32. jamie albayan fi ta'awyl alquran, li'abi jaefar mahmud bin jaryr altabarii, dar alkatub aleilmiyt - biyrut - lubnan, ta: al'uwlaa, 1412h - 1992m.
33. aljaamie li'ahkiam alqaran (tufsyr alqurtubayi), li'aby eabd aallh mahmud bin 'ahmad al'ansarii alqurtubiyi, tahaqiyq: eabdalraaziq almuhadi, alnaashar : dar alkatiab alearabyi, ta: al'uwlaa, 1418hi- 1997m.
34. aljadwal fi 'iierab
35. .3 alquran wasarfuh wabayanuh, tasanyf mahmud safi, dar alrashyd, dimashq, bayrut, muasasat al'iiyman, bayrut - lubnan.
36. aldr almasun fay ealwm alkatiab almukanawn, al'iimam shihab aldiyn 'aby aleabas bin ywsaf almaearuf bialsmikyn alhalbayi, tahaqiyq: ealay mahmad euwd wakhryn, dar alkutub alealmuyt, biyrut - lubnan, w t : al'uwlaa 1414h - 1994m.

37. dirat altanziyl wathamarat alta'awyli, alkhutyb al'iiskafi, dirasat watahaquyq: du.mahamad musatafaa, t jamieat 'umi alquraa, ta1, 1422h.
38. dilalat alsayaq, durat aallh altilhi, tibaeat jamieat 'ami alquraa 1424haz
39. dalayil al'iiejaz, eabdalqahir aljirjani, qara'ah waealiq ealyh: muhamwd mahmad shaakir, alnaashir : maktabat alkhanji, alqahira.
40. alrisalatu, 'abu eabdaallh mahmud ban 'iidrys alshafiei, tahaqayq: 'ahmad shakri, dar alkutub aleilmuyti, biyrut, lubnan.
41. ruh almaeani fi tafsiyr alquran aleazym walsabe almithani, li'aby alfadal shihab alduyn alsayd mahmud al'alusi albaghdadii, dar 'iihya' alturath alearabii, biyrut - lubnan, t : alraabieat 1405 hi - 1985 m .
42. zad almusayr fay ealm altafsiyr, lil'iimam 'aby alfurj jimaal aldayn eabdalrahman ban ealay bin muhamad aljawzi alqurashi albaghdadii, haqaqah muhamad bin eabdalrahman ban eabdaallh, kharij 'ahadythah alsaeyd bin bisywni zighluli, biyrut, dar alfikr, altabeat al'uwlaa,1987m.
43. zahrat altafasyra, al'iimam muhamad 'abu zahrata, dar alfikr alearabii.
44. alsiraj almunyri, muhamad bin 'ahmad alsharbayni, dar alkutub aleilmuyti, biyrut.
45. alsyaq alquranyi wa'uthruh fay tafsyr almudrasat aleaqluyti, da.saeuyd alshahrani, ta.jamieit 'am alquraa,1427hi - 2006m.
46. safuat altafasyr, mahmud ealayi alsabunii, dar alqaran alkuruym, biyrut, t: althaaniyt, 1401h - 1981m.
47. ftah alquduyr, mahmud ban ealay bin mahmud alshukani, haqaqah wakharij 'ahaduythh : da. eabdalrahman eumyrata, dar alwafa' liltibaeit walnashur waltuwziye almunasurat, t: althaaniyt, 1418 hi - 1997m.
48. alfutuhiat al'iilahiyt bitawaduyh tafsyr aljalaliyn, siluyman ban eumr aleajlayi alshafieii,alshihyr bialjuml

khutbah 'iib arhym shamis aldayn, dar alkatub alearbyti, biyrut, libinan, .1996 - 1416
49. alkashaf ean haqayiq altanzyl waeuywn al'aqawiyl fi wujuh alta'alyf, 'abu alqasim jar aallh mahmud bin eumar alzumakhshari, dar almaerifat, byrut - lubnan.
50. allibab fay ealwm alkatiab, lil'iimam almufsir 'aby hafs eumr ban ealay bin eaadil aldimashqii alhalabii, tahaqayq: eadil 'ahmad eabd almujwd wakhryn, minshuart muhmud biydun, dar alkutub alealmuyt, biyrut - lubnan, 1419h- 1998m.
51. lsan alearib labn munazwr jimaal aldayn mahmad bin mukaram al'ansarii, almussat almasrayt aleamat lilta'alyf wal'anba' walnashr, aldaar almisrayt lilta'aluyf waltarjama.
52. almathl alsayir fay 'adab alkatib walshaeiri, abn al'athyr, tahaqiyq: mahmud mahyy aldayn eabdalhamydi, almaktabat aleasrayta, sayda, lubnan,1416 - 1995.
53. majmawe fatawaa shaykh al'iislam 'ahmud bin taymuyta, dar eaalim likatub liltibaeit walnashar,alrryad,1412.
54. almuharir alwajayz fi tafsiyr alkutiab, lilqadiyi 'aby mahmad eabd alhaq bin ghalb ban eutyt al'andalsi, tahaqayq: almajlis aleilmiu bifas, 1397hi- 1977m.
55. mukhtar alsihah, lilshaykh al'iimam mahmud bin 'aby bikar bin eabdalqahir alrazii, eanyun bitartaybih : mahmud khatir, dar alfikr liltibaeat walnashr waltawzuye, byrut - lubnan.
56. almisbah almunyru, 'ahmad bin muhamad alfaywmi, maktabat lubnan, 1987.
57. almuejam alraayidi, jubran maseudi, dar aleilm lilmalayyn, ta7, 1992.
58. muejum allught alearabyt almueasirati, di.'ahmad mukhtaar eabdalhumyd eammri, eaalim alkattb,ta1, 1429 - 2008.

59. almaejm alwasyt, 'iibrahim musatafaa 'ahmad alzayat hamd eabd alqaadir mahmud alnijar, dar aldaewati, tahaquyq : majmae allughat alearabiyti.
60. muejm maqayys allught, li'aby alhusayn 'ahmad ban faaris bin zakaraya, tahaqiyq : eabdalsalam harun, dar aljayl, byrut.
61. almufaradat fay gharyb alqaran, li'aby haatim alhusayn bin mahmad almuearuf bialraaghib al'asfahanii, dar almaerifat, biyrut -lubnan, t: al'uwlaa,1418h - 1998m.
62. mlak alta'awyl alqatie bidhawi al'iilhad waltaetiyl fi tawfiyt almutashaabih mun allifaz fay ayat altanazuyl, lil'iimam alhaafiz 'ahmad bin 'iibrahim bin alzabyr algharnati, tahaqyq: saeuyd alfalahi, dar algharba.
63. man balaghat alqurani, 'ahmad badwi, dar nahdat misr liltibaeati, alqahirati.
64. mn balaghit almutashaabih allafziyi fayi alqaran alkuruymi, du.mahamd bin ealayi alsamili, dar 'iishbaylya lilnashr waltuwzaye, ta1, 1422 - 2001m.
65. almuafiquatu, 'iibrahim bin musa mahmud alshahyr bialshatibii, dar almaerift liltibaeit walnashri, biyrut, lubnan,1395h.
66. alnaba aleazymu, du.muhamad eabdaallh diraz, dar alrisalati, ta2, 1390 - 1970m.
67. alnahw alwafi, eabaas hasan, dar almaearifi, ta15.
68. nuzum aldarar fay tanasib alayat walsur, lil'iimam almufsar birhaan aldayn 'aby alhusyn 'iibrahim bin eumr albaqaei, dar al'andilas lilnashur waltuwzaye - jadat, t: althaaniyt, 1413h - 1992m.
69. alwjayz fay tafsyr alkatiab aleuzzyz, abn alhasin ealay bin 'ahmud alwahadi, tahaqiyq: safwan eadnan, dar alqalami, aldaar alshaafiytu, ta1415hi.
70. alwahdat alsyaqyt lilsurat fay aldirasat alquranyti, saami bin eabd aleuzayz aleajlan, jamieat al'iimam 1430 - 2009.

فهرس المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
١	ملخص البحث	٢٣٨٥
٢	المقدمة	٢٣٨٧
٣	التمهيد	٢٣٨٩
٤	مفهوم السياق، وأنواعه.	٢٣٨٩
٥	مادة (وهب) وجذرها اللغوي واستعمالاتها.	٢٣٩٤
٦	المبحث الأول: السياق وأثره في في اختيار صيغة الفعل.	٢٣٩٦
٧	المبحث الثاني: السياق وأثره في في اختيار صيغة الإسم.	٢٤٤٤
٨	المبحث الثالث: السياق وأثره في الموازنة بين متشابه النظم في مادة (وهب).	٢٤٤٩
٩	المبحث الرابع: السياق وأثره في اصطفاء لفظ (وهب) مع ما قاربه من ألفاظ.	٢٤٥٥
١٠	الخاتمة	٢٤٦٠
١١	فهرس المصادر والمراجع	٢٤٦٢
١٢	فهرس المحتويات	٢٤٧٤